المكتبة الحديثة للأطفال

محمد عطية الإبراشى

حلم يتحقق

وقصص أخرى



دار المعارف

المكتبة الحديثة للأطفال

حلم يتحقق

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثامنة منقحة ومزيدة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِه وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصًا منى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورة ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القصصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يُرغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المثُل العليا فى النواحى الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضى إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعَاوَدةِ قراءتِها .

وقد راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلماتِ اللغوية ما صعُب ، ووضّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكون عونًا على فهم هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظةِ ، وجمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذهِ المجموعةِ المنتقاة خيرَ ما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتِهم من ثروة تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمّى خيالَهُ ، وتسمُو بروحِه وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لذّةً وسرورًا يشعر بهما الكبارُ أنفُسهم حين يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ «المكتبة» قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى **جمهورية مصر العربية** ، والشرقِ العربىّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

حُلْمٌ يَتَحَقَّقُ

(١)

كانَ خالدٌ طِفلاً فقيرًا ، وفقيرًا جدًّا ، يَعملُ فى الحقل عِندَ أَحدِ المزارعينَ . وفى كلِّ شهرٍ يأْخذُ أَجرَهُ القليلَ ، ويُعْطِيه أُمَّهُ لتَستعِينَ بهِ على المعيشةِ والحياةِ . ولِشِدَّةِ فقرهِ كانت ملابسُهُ مُمزَّقةً لا تَسترُ جسمَهُ ؛ ولا يَجدُ هوَ وأُمُّهُ ما يكفيهما مِنَ القُوتِ الضروريِّ . وكانا يعيشان معاً فى كُوخٍ ريفىٍّ صغيرٍ .

كان خالِدٌ كثيرَ الآمالِ والأَحلامِ . وكثِيرًا ما كان يُفكِّرُ فى أشياءَ خَيَاليَّةٍ ، ويَحلُم بأُمورٍ خياليّةٍ ليس مِنَ السَّهْلِ تَحقيقُها أَو الوُصُولُ إليها . وذاتَ يَوْمٍ حَلَمَ وهوَ نائمٌ أَنُه سَيَكُونُ سَعيدَ الحظِّ ، فى مستَقبلِهِ ، وأَنهُ سيتزوَّجُ الأَميرةَ بنتَ السُّلطَانِ ، وأَنَّهُ سيكونُ السُّلطانَ فى يومٍ من الأَيامِ . وحِينما اسْتَيْقظَ من نومِهِ تَذَكَّرَ هذا الْحُلْمَ الغريبَ ، وكَرَّرَهُ فى نفسِه ، وأَخذَ يسأَلُ نفسَهُ : كيفَ يصلُ إلى تحقيق هذا الْحُلْمِ ؟ وكيفَ يَتزوَّجُ بنتَ السُّلطانِ ، وهو فقيرٌ ، وفقيرٌ

جدًّا ؟ وقدْ سَيْطَرَ على عَقْلِهِ وتفكيرِهِ وخيالِهِ أَنَّ شيئًا عجيباً سيحدُث له فى المستقبل . وأخيرًا تحقَّقَ الشَّىءُ العجيبُ الَّذى كانَ يَتَخَيَّلُهُ . ويَحْلُمُ بهِ ، ويُفكِّرُ فيهِ كثيرًا ، وكثيرًا جدًّا .

ولم يتحققْ هذا الشَّىءُ العجيبُ إِلَّا بعدَ أَنْ بَلَغَ خالِدُ العِشْرِينَ مِن عمْرِهِ .

كانَ خالِدٌ شجاعاً ، نبيلَ الْخُلُق ، بعيدَ النظَرِ ، كثيرَ الإقدام ، لا يتَرَدَّدُ فِيما يَعْتَقِدُ أَنهُ صوابٌ . وكان معَ فقرِهِ جميلَ الشَّكل ، متجعِّدَ الشعر ، لا تُفارقُه ابتسامتُه العذْبةُ . يُحِبُّهُ كلُّ مَنْ رآهُ لِوَداعَتِهِ وَرِقَّتِهِ؟ وذكائهِ وجمالِه وأدبِهِ .

استمرَّ خالِدٌ يَشْتَغلُ فى الحقل بالزِّراعةِ ، حتى تعلَّمها ، وتعلَّمَ فِلاحةَ البساتين ، وزراعةَ الْحَدائق ، وأَشجارِ الفاكهةِ وتَطعِيمِها ، وتبخيرها ، وتعلَّمَ قَطْعَ الأَشجار وتَنسيقَها .

سمعَ عنهُ أَحدُ الأَغنياءِ المُولَعينَ (المحبِّين) بالْحَدائِق فى الْبلْدَةِ القريبَةِ ، وسمِعَ عَنْ أَمانَتِهِ

ومهارَتِه ، فاختارَهُ بُسْتانِيًّا فى حَديقتِهِ المُثْمِرة الواسعَةِ. وانتقلَ هُوَ وَأُمُّهُ إلى تلكَ البلدةِ ، ومكَثا بمنزلٍ صغيرٍ مُعَدٍّ للبُسْتانِيِّ فى الْحَدِيقةِ ، وهوَ أَحْسَنُ مِنَ الكُوخِ الَّذِى كانا يُقيمانِ فِيهِ بالْقريةِ. وقد بدأَ خالِدٌ الآنَ يتقاضَى أَجْرًا أَكثرَ مِنَ الأَجْرِ الَّذى كانَ يتَقاضاهُ وَهُو فى الْحَقل ، وأَخذَتْ مَعِيشَتُهُ تتَحَسَّنُ ، وبدأَتِ الْحَياةُ تَبْتَسِمُ لهُ وَلأُمِّهِ.

وحِينما كانَ خالِدٌ واقِفًا ببابِ البُستانِ فى يَوم منَ الأيام رَأى الأَمِيرَةَ بنتَ السُّلْطانِ تَركبُ عَرَبتَها ، ورَأى الحرسَ أَمامَها وخَلفَها ، وهىَ تَلْبَسُ مِعْطَفاً جميلاً من الفرْو لِتَقِيَ نفسهَا بَرْدَ الشِّتاءِ ، وكانَ يجرُّ العرَبة حِصانانِ من أحسن أَنواعِ الْخَيْلِ.

رَأى خالدٌ الأَمِيرَةَ فأُعْجِبَ بهاالإعجابَ كلَّهُ ، وكانَت هى الابْنَةَ الوحِيدةَ للسُّلْطانِ والسُّلْطانةِ ؛ وكان كلُّ شابٍّ نبيلٍ فى البلادِ يسأَلُ نفْسَهُ هذا السُّؤالَ : من سَيكُونُ زوجًا للأَميرَةِ؟ ولَمْ يَخطُرْ ببالِ أَىِّ إِنسانٍ أَنَّها سَتكُونُ زَوْجَةً لخالِدٍ الفقيرِ النَّبيلِ ، والشُّجاعِ

الْكثيرِ الإِقْدامِ ، فى يومٍ مِنَ الأَيامِ . وكانَ عِندَ خالد شُعُورٌ قَوِىٌّ ، وعقيدةٌ ثابتةٌ أَنَّهُ سيَتَزَوَّجُ فى المستقبَل بنتَ السُّلْطانِ .

وكَثِيرًا ما كانَت الأَمِيرةُ تَحلُمُ أَنَّها ستتزَوَّجُ شابًّا جميلاً فقيرًا ، نبيلًا فى خُلُقِهِ ، قويًّا فى عزيمَتِهِ ، يستطيعُ أَنْ يقومَ بالْعَجَائبِ والأَشياءِ العجيبةِ الغريبةِ . ولم تُفكِّرْ مُطلقًا أَنَّ خالدًا البستانِيَّ الذِى مرَّتْ بِهِ وهوَ واقفٌ بباب البُسْتان ، سَيكُونُ زَوْجَها فى المُستقبَل .

بلَغَتِ الأَميرةُ السادسةَ عَشْرَةَ من عمْرِها ، وتقدَّمَ لِخِطْبَتِها ، كثيرٌ من الأُمراءِ ، وتَمَنَّى كلٌّ مِنهُمْ أَن تكونَ زوجَةً لهُ ، ولكنَّها كانتْ تَرْفُضُ كلَّ من يَتَقَدَّمُ إلى السُّلْطان لِخِطْبتها ، فهِىَ تُحسُّ بأَنَّها أميرةٌ عظِيمةٌ وأَنَّ أَباها سُلْطانُ البلادِ ، وأُمَّها سُلْطانَةٌ ، ولم يَرُقْ فى نظرها أَحدٌ من هؤُلاءِ الأُمراءِ لأَنَّ مثَلَها الأَسمَى الذِى وضعتهُ فى نفسِها لم تَجدْهُ بَعْدُ .

كان خالدٌ يُحِسُّ بالحُزنِ الشديدِ كلَّما تقدَّمَ لِخِطْبتها أَميرٌ منَ الأُمراءِ ، أَو نبيلٌ من النُّبَلاءِ ، أَو



خرج خالد الفقير إلى
الحديقة ، فرأى ناراً تحترق ،
وحولها أقزام يرقصون .

عظيمٌ من العُظمَاءِ ، معَ أَنهُ فقيرٌ من الفُقراءِ ، وأُمُّهُ فقيرةٌ من الفقِيراتِ .

وذاتَ ليلة ذَهبتْ أُمُّه ، لتَنَامَ في حجرتها ، وذَهب خالدٌ إلى حُجرتِهِ لِينَامَ على فِرَاشه المُعَدِّ لَهُ ، وَلِكنِ ابتعَدَ عنهُ النومُ ، واشتَدَّ بهِ الأَرقُ (السَّهرُ) ، ولازَمَه السَّهرُ ، ولم يَسْتطِعْ أَن ينامَ إلا في الفَجْر ، واسْتَمَرَّت النارُ مُوقَدَةً في تِلك الليلةِ على مَوْقِدٍ منَ الفَخَّار كان بحُجْرتِه . خَرجَ إلى الحديقة ، فَرأَى نارًا صَغيرةً تَحترقُ تحتَ شَجرةٍ من الأَشجار ، وحَوْلها أَقزامٌ يَلعبون ، فنظر إليهم ، ودَهِشَ لِهذا المنْظر .

(٢)

وحِينما كان خالدٌ جالِساً يَتَدَفَّأُ رأَى بالْقُرْب من باب الحُجْرَةِ قَزَماً أَىْ رجُلًا صَغيرَ الْجِسْمِ يُشِيرُ إِلَيْهِ بيَدِهِ ، ويَرْجُوهُ أَنْ يَسْمَحَ لهُ بالْخرُوج منَ الْبُسْتانِ ،



القزم يرجو خالداً أن يسمح له بالخروج من البستان فسمح له

فقامَ خالدٌ ، وفَتَحَ الْبابَ ، وسمَحَ لهُ بالْخرُوج ، فَدَعاهُ القَزَمُ إلى أَنْ يَسِيرَ مَعهُ إلى المكانِ الَّذى يَجْتَمِعُ فيهِ عشْرُونَ قَزماً يلْعَبونَ تحْت شَجَرَةٍ كَبِيرةٍ بالْقُرْبِ منَ البُسْتانِ ، ويُغنُّونَ بأَصْواتٍ عَذْبةٍ رَقيقة

فذَهَبَ خالد مَعهُ ، وأَخَذَ يُشاهِدُ الأَقزامَ وهم يلْعَبونَ ، ويَسْتمعُ إلى أَغانيهم العذْبةِ الجميلةِ ، ثمَّ تركهُمْ وعادَ (رجعَ) إلى البُسْتان . وَفى أَثْناءِ عَوْدتِه (رجوعه) ظهر القَمَرُ فى السَّماءِ ، وأَنارَ الدُّنْيا بعدَ أَن كانت مُظلمةً . نظرَ خالِدٌ فرأَى شيئًا برّاقًا (لامِعًا) يتلأْلأُ (يلمع) على الأَرْض عِند قَدَمِه ، فمالَ نحْوَهُ والْتقَطهُ منَ الأَرْض ، ووَضَعهُ فى جَيْبِه . وبعد قليلٍ سَمِعَ صِياحاً على بُعْد ، فنَظرَ ليَعْرِفَ السَّبَبَ فى هٰذا الصِّياحِ ، ونظَرَ حَوْلهُ ، وأَصْغَى إلى الصِّياحِ ، فَسَمِعَ الأَقزامَ يَصِيحُون بِصَوْتٍ وَاحدٍ : لقد فُقِدَ ، لقَدْ فُقِدَ ، لقَدْ فُقِدَ ، ثمّ سَكتَ الأَقْزامُ . ورجَعوا من حَيثُ أَتَوْا ، وسارَ خالِدٌ حتى وَصَلَ إلى باب البُسْتان ففتَحَه ودخلَ ، وذهَبَ إلى مَنْزلِه ، وعادَ إلى حُجْرتِه ، وحاولَ أَنْ يَنامَ ، فلَمْ يَتمكَّنْ . جلَسَ فى حُجرتِه ،

والمَوْقِدُ بجانبه، وأَخْرَجَ الشَّيْءَ البَرَّاقَ (اللامع) من جَيْبه. ونظر إليْه فوجَدَهُ حَجَرًا يتلألأ، ولَمْ يَدْرِ (لم يعلم) شيئاً عن هذا الحَجر، أَوْ صاحِبه، أَو قيمَتِه، فأَعادَهُ إلى جيبه كما كانَ.

لم ينَمْ خالِدٌ فى تلك اللَّيلةِ إلَّا فى الفجر. وقبلَ أن تُشْرِقَ الشمسُ استيقَظ، وتوضَّأَ وصلَّى صلاةَ الصُّبح، وأَوْقدَ النارَ لأُمِّه العَجُوزِ، وقرَّبَها منها، وأَحضرَ لها الطعامَ، وقَدَّمه إليها، وتناوَل طعامَ الصَّباح معها. ولم يجدْ لذَّةً فى تناوُلِ طعامِه لما أَصابهُ منْ أَرَقٍ (سهر) فى ليلتِه السابقِة. ولم يذْكرْ لأُمِّه شيئاً عَنِ الْحَجَرِ البَرَّاق الذى وجدهُ فى أَثناءِ رُجوعِه بعدَ أَنْ تركَ الأَقزامَ فى الليلةِ الماضية. وَدَّعَ أُمَّهُ وخرجَ ليعمَلَ فى البُسْتان كعادته.

استمرَّ خالِدٌ يعمَلُ فى الْبُسْتانِ إلى العَصر. وبعدَ أَنْ أَتمَّ عَملَهُ خرَجَ إلى البلْدَةِ، وذهبَ إلى صائغٍ معروفٍ، لهُ خِبْرَةٌ (تجربة) باللآلِئِ والجواهرِ، فهَزِئَ بخالِدٍ، وسخِر مِنه؛ لأَنَّ تاجرَ الجواهرِ كان شرِسًا، سيِّئَ الخُلق، لا ذِمَّةَ لهُ ولا ضميرَ، وقد رأَى الفقرَ يَبْدُو (يظهر) على خالدٍ، ولا أَمَلَ فى البيعِ لهُ أَو الشِّراءِ منهُ.

أَخرجَ خالدٌ حَجرًا مُتلألئاً (لامعاً) من جيبهِ، وقَدَّمهُ إلى تاجرِ الجواهرِ، وسأَلهُ: كم يُساوى هذا الحجر؟
أَخذ التاجرُ الحجرَ المتلألِئَ ووَضَعَهُ فى يدِه، وبدأَ يختبرُهُ، ويفحصُ عنه بمِنْظاره المُكَبِّر، وتحقَّقَ أَنه حجرٌ من الأَحجار الثمينة النادرة، ولُؤْلُؤَةٌ منَ اللآلِئِ الغاليةِ التى تُقَدَّرُ بالكثير من المال، ثمّ سأَلهُ: من أَيْنَ أَتيتَ بهذا الحجرِ؟
أَجابَ خالدٌ: وجدْتُه فى الطَّريق، ثم سأَلَ: كم يُساوى هذا الحجرُ؟ فكَّر تاجرُ الجواهرِ قليلًا، وقالَ لنفْسِه:
ما هذا إلَّا شابٌّ فَقير، ومن المُمْكِنِ أَن يُخْدَع بسهولة، ويكتفىَ بأَىِّ ثمن، وقالَ له: إنَّ هذا الحجرَ يُساوى عشَرةَ جُنيهات.
ولَمْ يَعرِفْ خالدٌ أَنَّ الحَجرَ نَفيسٌ منَ الماسِ الثَّمين، ويُسَاوى حَقًّا مِقْدَارًا كبيرًا مِن المال. ولكنَّ عَشرَةَ جُنيهات تُعَدُّ مقدارًا كبيرًا جدًّا فى نَظَر شابٍّ فَقيرٍ كخالد. فلا عَجبَ إذا وَافقَ على أَنْ يُعْطىَ بائع الجواهر هذا الحَجرَ البرّاقَ، ويأْخُذَ منه عشَرَةَ جُنيهات وهُوَ مَسرورٌ جدًّا.
مَرّتِ الأَميرةُ بنْتُ السُّلطان بالبُسْتانِ فى هذا

اليوم وهىَ ذا هبةٌ إلى المدينةِ ، وقَدْ رَكِبَتْ جَوادَها (حِصَانَها) الأَبيضَ ، ورآها خالدٌ وهىَ مارّةٌ ، وقدْ أَحسَّ فى نفْسِه بأَنه الآن يكادُ يكونُ غَنيًّا . ولا غرابةَ ، فلديهِ عشَرَةُ جُنَيْهات فى جَيْبه لم يَرَها منْ قبلُ . وظنَّ أَنهُ الآن غَنىٌّ منَ الأَغنياءِ ، وفى استطاعتِه أَنْ يتقدَّمَ لِخِطْبةِ بنْتِ السُّلطان .

وبَعْدَ أَنْ ذَهبَ السُّكانُ تَقريبًا إلى فِرَاشِهمْ فى تلك الليلةِ أَخذَ خالدٌ يُفكِّرُ قبل النَّوْم ، ووَضعَ عشَرَةَ الجُنَيْهاتِ تحتَ وسادتِه (مخَدَّته) .

وبعدَ قليل سمِعَ دَقًّا خَفيفاً بالبابِ مَرَّةً أُخرى ، فقامَ وسأَلَ : مَنْ بالبابِ ؟ ونظرَ مِنْ فتْحَةٍ صَغيرةٍ به ، فوَجد عشْرين قَزَماً منَ الأَقزامِ ينتظِرونَ بالبابِ ، فدَهِشَ خالدٌ لِمجيئهم فى ذلك الوقْتِ منَ الليل . وقالَ كبيرُهُم : ماذا فعَلْتَ يا خالِدُ بحَجَرنا البرَّاق الثمينِ ؟

فأَجابَ خالدٌ : أَتقْصِدون الحجرَ البرّاقَ الذى وجدتُه مُلْقًى فى الطريق ؟

فأَجابَ كبيرُهم : نعمْ ، لقدْ كنَّا مُسرعِين ،

فوقع مِنّا الحجَرُ الثمينُ فى الطريق . فأَخذْتَه ، ولا يُمكنُنا أَنْ نذهَبَ إلى مَسكَنِنا بدُونِه . ونرْجُو أَنْ ترُدَّ إلينا حجَرَنا الذى وَجَدتَه .

أَخذَ الأَقزامُ يَبكون ، وتأَلَّمَ خالدٌ أَشدَّ الأَلمِ بسببهم ، وحَزِنَ لِحُزْنِهم ، ووَعَدهُم أَنه سيُحاولُ أَنْ يُعيدَه إليْهم ، وطلبَ منْهمُ العفْوَ عنه ، لأَنه لم يَعْرف لهُ صاحباً ، ولم يَعْرفْ قيمتَه ، فقدَّروا شُعورَه ، ووَعَدوه أَن يُكافِئوه أَحْسنَ مكافأَةٍ إذا رَدَّهُ إليْهم .

(٣)

انصرفَ الأَقزامُ ، وأَغلقَ خالدٌ البابَ ، ثمّ رَجَع إلى فِراشِه ونامَ حتى الصَّباحِ .

وفى اليَوْمِ التالِى أَخذَ عشَرةَ الجُنيْهات معَه ، وذهبَ بها إلى تاجرِ الجواهر ، ورَدَّها إليه ، ورجاهُ أَنْ يُعيدَ إليه الحجر البرّاقَ ؛ لأَنُه ليسَ مِلْكاً لهُ ، وقدْ طَلبَهُ أَصحابُه . فَسَخرَ منهُ التاجرُ وهَزِئَ به ، وبدأَ يُوَبِّخه ، وزَجَرهُ ، وقالَ له : ابتعِدْ مِن هُنا ، ولا تَعُدْ مَرَّةً أُخْرى ؛ فليسَ عندى وَقْتٌ أُضيِّعهُ مع شابٍّ مِثلِكَ . كيفَ تَبيعُ لى شيئاً بالأَمْسِ ثمّ تأْتى اليَوْمَ لِتطلُبَهُ وترُدَّ الثمنَ؟ إنى لا أُحِبُ



الأميرة راكبة حصانها الأبيض وبيدها مروحة
وهي ذاهبة إلى تاجر الجواهر

أن أراكَ بعدَ الآن . وحَذَار (احْذَرْ) أن تَقْرُبَ منْ هذا الحانوتِ ثانيةً .

تـألَّمَ خالدٌ لِسُوءِ مُعاملة هذا التاجر وعَدم أمانتِه . وحينما كانَ خالدٌ يُريدُ الخروجَ منَ الحانوتِ قابلتْهُ فتاةٌ جميلةٌ تلبَسُ مِعْطفاً ثميناً منَ الفَرْو ، وشعْرُها أَصْفرُ جميل مُنَسَّقٌ تنْسِيقاً بديعاً ، تدْخُلُ حانوتَ بائع الجواهِر ، وخَلْفَها وصِيفتُها ، واثنانِ من الخدم ، والْحِصانُ ينْتَظرُها أمامَ الحانوتِ .

فعرَفَ خالدٌ أنها الأَميرةُ بنتُ السُّلطان ، وطَأْطَأَ(١) رأْسَهُ إجلالاً لها ، ووقفَ بائعُ الْجَواهِر يحيِّيها ، ويُظْهرُ الطاعةَ والأَدَبَ لها . وقدْ بدا (ظَهر) جمالُها الطبيعيُّ الذى وهبهُ اللهُ لها ، وقدْ رآها خالدٌ ورأَتْه ، وسَمِعَتْ ما دارَ من حديثٍ وجَدلٍ ونِقاشٍ بيْنَ خالدِ الأَمين وبائعِ الجَواهِرِ الخائن .

دخلَتِ الأَميرةُ الحانوتَ ، فأَشارَ تاجرُ الجَواهر إلى خالد بيده يُريدُ ذَهَابَهُ والتّخلُّصَ منه ، حتى لا تَسْمعَ الأَميرةُ شكْواهُ ، وما عَلِمَ أنَّ الأَميرة قد سَمِعتْ كلَّ ما حَدثَ وما قيلَ .

(١) أحنى رأسه .

وهنا تكلمت الأَميرةُ وقالتْ لخالدٍ الشابِّ الفقير الأَمين : «لا تَذْهبْ يا سيِّدى العزيز ؛ فقدْ سمِعتُ ما دار بيَنكما منْ نِقاشٍ وجدالٍ وحديث » .

وقفَ خالدٌ وهُوَ مَسرورٌ ؛ فقدْ ناديَتْهُ الأَميرةُ بقوْلِها : «يا سيِّدِى العزيز » كأَنه أَميرٌ من الأُمراءِ أَوْ نَبيلٌ منَ النُّبلاءِ ، أَوْ شَريفٌ منَ الأَشرافِ ، وكأَنه ليسَ بالشَّابِّ الفقير المُهذَّبِ الأَخلاق ، الحُلْو الطِّباعِ ، الكبير الآمال ، الذى لا يجدُ القُوتَ الضَّرورىَّ للحَياةِ.

اتجهتِ الأَميرةُ إلى تاجر الجَواهر وأَمَرَتهُ بقوْلِها : أَرنى هذا الحَجر . فَتحَ تاجرُ الجواهر خِزانةً حديديَّةً كبيرةً عندَه لا يضعُ فيها إلَّا أَنفَسَ الجواهر وأَغْلاها ، وأَخْرجَ منها - وهوَ مُتضايق - الْحَجرَ البرّاقَ ، ولكنّه أَمرٌ ، وأَمرُ ابنةِ السُّلطان مُطاعٌ ، يجبُ تنفيذُه ؛ لأَنَّ فيه رَدَّ الحقِّ إلى صاحبه ، وإزالةً للظُّلمِ والشِّراءِ بالإِكْراهِ ، والغِشِّ والْخيانةِ . الْتفتَت الأَميرةُ إلى خالد مرّةً أُخرى ، وقالتْ لهُ : «الآنَ يا سيِّدى العزيزَ خُذْ حَجَركَ ، وأَعْطِه ما أَخذتَ مِنْهُ مِنْ نقودٍ »

فرحَ خالدٌ كثيرًا ؛ وأَخذَ الحجرَ البرّاقَ منْ تاجر الجواهر ، وأَعطاهُ ما أَخذهُ منه منْ نقودٍ ، ثم تقدَّمَ إلى الأَميرةِ بكل أَدب واحترام ، وقالَ لها أَشكرُ لكِ يا صاحبةَ السُّموِّ أَجْزَل الشُّكر ، فلولاكِ ما استطعت أَن آخُذَ الحَجرَ لِأَرُدَّهُ إلى ذَوِيه (أَصحابه) .

ابْتسمتِ الأَمِيرةُ وَقالتْ لهُ : إِنَّنِى لم أَفعلْ شيئًا سوى الواجبِ الذى يُمْلِيه عَلَىَّ ضميرِى ، ثم أَخذَت الأَميرةُ تنظرُ إلى ما قُدِّم لها منَ الجواهِر الثَّمينةِ ، والأَحْجار النّفيسةِ ، وتَفحَصُ عنها . وخرجَ خالدٌ وهو شاعرٌ بكلِّ سرُورٍ وسعادةٍ ؛ لأَنهُ الآنَ يستطيعُ أَن يرُدَّ الأَمانةَ إلى ذَوِيها (أَصحابها) الذين أَلَحُّوا فى طلبها ، وأَخذَ يُغنِّى أَغانىَ عَذْبةً جميلةً وهو عائدٌ (راجعٌ) إلى المنزِل وذهبَ إلى فراشِه فى تلك الليلةِ مسرورًا مُستريحَ الضَّمير ، هادئَ البال ، مُطمئنَ النفس ، ووَضعَ الحَجرَ البرّاقَ فى مكان أَمين حتى يَرجعَ ذوُوهُ (أَصحابه) ليأْخذوهُ . وقد انتظَرَ أَن يحضُروا تلكَ الليلة للمطالَبةِ به . وبعدَ أَن نامَ مُدَّةً

قصيرةً سمعَ من يدُقُّ البابَ برِفق .

انتبهَ خالدٌ ، وسأَلَ : مَنْ بالباب ؟ فأَجابَ كبيرُ الأَقزامِ بصوْتٍ ضعيفٍ : افتحْ يا خالدُ .

فتَح خالدٌ البابَ بسرعة ، فوجَد جماعةً من الأَقزامِ بالْباب ، فحيّوْهُ ، وحَيَّاهمْ ، ثمَّ سأَلَهُ كبيرُهُم لقد أَحضرْتَ الْحَجرَ ، أَليسَ كذلكَ ؟

أَجابَ خالدٌ : بلَى قد أَحضرتُهُ ، وَأَتَى به مِن مكانِه ، وقدَّمَه إليهمْ . فأَخذَهُ رئيسُهمْ ، ووَضعهُ فى جيبه ، وشكرُوا لخالدٍ أَمانَتَه ، ثمَّ سلَّموا عليه ، وذهبوا إلى حال سبيلهمْ .

(٤)

أَغلَق خالدٌ البابَ بهُدوءٍ ، ورَجَع إلى فِراشِه لِيَنامَ ، وَأَخذَ يَحلُمُ فى تلكَ اللَّيلةِ أَحلاماً مختلفةً ، نتيجةً لما حَدثَ لهُ نهارًا ، وَما مرَّ به فى يَوْمِه ؛ فقدْ ترَك ذلكَ كلُّه أَثرًا فى نفْسِه ، ظَهرَ فى أَحْلامِه لَيلاً ؛ فقدْ حلَمَ بالأَميرَةِ بنْتِ السُّلطان حيناً ، وحَلَم بتاجر الجَواهِر حِيناً آخرَ ، وبالأَقْزام أَخيرًا .

وَفى الصَّباح كان فرحًا مسرورًا : فقَدِ استطَاع أَن يَرُدَّ الْأَمانةَ إلى أَصْحابِها ،ورأى الأَميرةَ بِنْتَ السُّلطانِ تَعطِفُ علَيه ، وتَقِفُ بجانبه لتأْخُذَ لهُ حَقَّهُ مِنَ التَّاجر. وأَخذَ يمُرُّ بالحديقةِ ، يُشذِّبُ (يقطع) الأَشجارَ ، ويَقطَعُ فروعَها الجافَّةَ والمائلةَ . وينتقِلُ منْ شجرةٍ إلى أُخرَى ، وهُوَ يُغنِّى أَغانيَه العَذْبةَ السَّارَّة . وحينما كانَ يفكِّرُ فى مُرُوءةِ ابنةِ السُّلطان ووُقوفِها بجانِبِ العدالةِ ، ونُبل شُعورها رأى فجأَةً قزَماً منَ الأَقزامِ ، حوْلَ جذْعِ شجرةٍ من الأَشجار ينْظرُ إليْه ؛ كأَنهُ يُريدُ أَن يُحَدِّثَهُ أَوْ يكلِّمَهُ فى موضوع من الموضوعاتِ

وَقَفَ خالدٌ وسأَلهُ : ماذا تريدُ أَيُّها الأَخُ ؟

فأَجابهُ القزَمُ : أُريدُ أَنْ أُقدِّمَ لك هذه الهديَّةَ الصَّغيرةَ ، راجياً قَبولَها ؛ لأَمانتكَ ووَفائِكَ . وقدَّم له قطعةً مَصْقولةً منَ الخَشبِ تُشبهُ اللَّوْزَةَ .

فتردَّد خالدٌ فى قَبُولها ؛ ظانًّا أَنهُ قَدْ يمَسّه شَرٌّ أَوْ أَذًى بسببها . فقالَ له القَزَمُ حينما أَحَسَّ بتردُّدِه فى

قَبول الهديَّةِ : خُذْها يا خالدُ ، ولا تتردَّدْ ؛ فإنّها هديّةٌ نَفيسةٌ ، ستجعلك سَعيدًا فى حياتِكَ ، وسترى أَثرها



خالد يقطع الأشجار بالحديقة ، وقد رأى فجأة قزماً من الأقزام

فيما بعدُ . إذا وَضعتَها فى يدكَ ومرَرْتَ أَصابعكَ عليْها سمعتَ مُوسِيقى عذبةً جميلةً لم تسمعْها منْ قبلُ ، وإذا وَضعتَها فى جَيْبكَ فلَنْ يهزِمَكَ أَحدٌ . وَضعَ القزَمُ الهديَّةَ أَمامَه ثمَّ جَرَى ، ولم ينتظِرْ جزاءً ولا شُكورًا .

الْتقطَ خالدٌ الهدِيةَ منَ الأَرْض ، ومَسَحَها بأَصابعه ، فأَخذَتْ المُوسِيقى تعْزفُ عَزْفاً جميلًا ، فعجبَ كلَّ العجَبِ ، وأَخذَ يُصْغى إلى أَنواعٍ مُختلفة من المُوسيقى العَذْبةِ ، مدَّةً ليستْ بالقَصِيرة . ثمَّ وَضَعَها فى جيْبه وقالَ : ما أَجملَ هذه الهدِيَّةَ !

قابلَ خالدٌ أُمَّه . وأَنبأَها (أَخبرَها) بكلِّ ما حَدثَ حَوْلَ الْحَجَر الْبرَّاق الَّذِى وَجدَهُ فى الطَّرِيق ، وتاجر الجواهر الذى اشتراهُ . وما قامتْ بهِ الأَميرةُ نحوَه ، وما خاطبتْه به ، وما قامَ به منْ رَدِّ الحجرِ إلى أَصحابه . واللُّعْبةِ العَجيبةِ التى أَهداها إليه الأَقزامُ .

سُرَّت الأُمُّ سُرورًا جَمًّا (كثيرًا) لأَمانةِ ابنها ، فهُوَ معَ فقْره الشَّديد . ومعَ عِلمِه فى النِّهايةِ بأَنَّ هذا الحَجرَ مِنْ أَثمن الْحِجارةِ النفيسَةِ ، رَدَّهُ إلى ذَويهِ

(أصحابه) ولم ينتظِرْ منهمْ جزاءً ولا شُكورًا . وقالتْ لابنها : إنَّكَ تَسْتطيعُ أن تبيعَ هذهِ اللعْبةَ حتى يتمكَّنَ كلٌّ منَّا من شِراءِ حِذاءٍ جديدٍ له .

خرجَ خالدٌ فى المساءِ ، وذهَبَ إلى مَيْدان مُتَّسِعٍ بالمدِينةِ ، يقصِدُه كثيرٌ من السُّكان ، ولم يُفكِّرْ فى بيْعِ الهدية التى أُهْديَتْ إليهِ ، وأَخْرجَها من جَيْبه . ومرَّرَ يده فوْقها ، فأَخَذتِ الموسيقى تعْزف أَدوارًا مُوسيقيةً جميلةً ، وأَقبلَ الناسُ من كلِّ جهة ، وتجمَّعُوا حوْلهُ لاسْتماعِ مُوسيقى عذْبة لم تُسْمعْ من قبلُ . وبدأ كلٌّ واحد يُلْقى عندَ قدَمىْ خالد ما تجودُ (تسمح) به نفْسُه من النُّقود . استمرَّ خالدٌ واقفاً والنقودُ تُرْمَى من هُنا وهُناكَ ، والناسُ مُعْجَبونَ بهذهِ المُوسيقى العذْبةِ ، والأَصواتِ الجميلةِ ، حتَّى حانَ موْعِدُ الرُّجوعِ إلى المنزل ، فوَضعَ اللُّعبةَ الموسِيقية فى جيبهِ ، وصفَّق له الحاضرُون تصْفيقَ الإعجاب والتَّقدير ، وأَخذَ ما تجمَّعَ من النُّقود ، فوجدَ لديْه (عِنده) ثلاثةَ جُنيهات فَحَمِدَ اللهَ كثيرًا ، وشكرَ لهُ نِعمَته وفضلَه .

رجَعَ خالد إلى والدتهِ ففرحَتْ به ، وسُرَّتْ بالنَّتيجةِ . وقامَتْ وصلَّتْ لله شكرًا . وبعدَ أنْ فكَّرَ خالدٌ وأُمهُ فى الأَمر قرَّرا الاحتفاظَ باللُّعْبة الموسيقيةِ ، وعدَم بَيْعِها ، لأَنَّها مَوْردٌ دائمٌ للرِّبحِ الكثير ، وقرَّرا تركَ العملِ فى البسْتان ، والاكتفاءَ بالمُوسيقى .

اعْتادَ خالدٌ أن يذهبَ إلى السُّوق نهارًا ، وإلى المَيْدان ليلًا . فإذا ما أَخرجَ اللُّعبةَ الموسيقيةَ من جَيْبهِ ، ومَسحها بيدهِ أَخذتِ الموسيقى تعْزفُ (تلعَبُ وتُغنِّى) حتى يَظنَّ المُستمِعونَ أَنَّ هُناك فِرقةً مُوسيقيَّةً حديثةً من أَحسن الموسيقيينَ . ولم يمض أُسْبوعان حتى سَمعَ الأُمراءُ والنبلاءُ والأَشْرافُ بخالد ولعبتهِ الموسيقيةِ الجديدةِ . ودعاهُ كثيرونَ لإقامة حَفَلاتٍ مُوسيقيةٍ ، وحَضرَ إليهِ كثيرونَ من جميعِ أَنحاءِ البلادِ لاسْتماعِ الموسيقى الطَّبيعيّة العذْبةِ الجميلَةِ التى تملِك النُّفوسَ ، ويَعجَبُ بها كلُّ مُستَمعٍ ، سَواءٌ أَكانَ كبيرًا أَم صغيرًا ، عظيماً أَم حَقيرًا ، غَنِيًّا أَمْ فقيرًا . وكانتْ هذهِ الموسيقى مُتنوِّعَةً بدرجةٍ كبيرةٍ ، فكانَت الأُغنِيةُ

لا تُكرَّرُ مرَّةً أُخرى ، والدَّوْرُ إذا سُمِعَ لا يُكرَّر ثانيةً . فالأَدوارُ جديدةٌ ، والنغماتُ حديثةٌ ، والأَغانى عَذبة جميلة يتأَثَّرُ بها كلٌّ من يسْمَعُها . وتَسْتمِرُّ الموسيقى ما دامتِ اللُّعبةُ فى يدِه ، وحرَّكَ يدَهُ ، فإذا ما وضَعها فى جَيبه انقطَعَ العزْفُ (اللعب) وانْتَهتِ الموسيقى .

بهذه اللعبَةِ الموسيقيةِ بدأَتِ الدُّنيا تُقبِلُ عَلَى خالد وقد اسْتطاعَ أَن يَشترِى لوالِدتِه حذاءً جديداً ، ولنفسِه حِذاءً آخرَ ، وأَن يَشْترىَ لها ما تحْتاجُ إليهِ من مَلابسَ جَديدة ، وما يحْتاجُ إليه من حُللٍ ، ويَترُكَ الملابس المُمزَّقةَ ، وأَن ينتَقِلَ إلى مَنْزِلٍ جديدٍ ، ويشترىَ ما يحتاجُ إليهِ من أَثاثٍ وأَسِرّةٍ وكراسىَّ وسَجاجيدَ ، وترِكَ الْحَصيرَ ، والنَّومَ على الْحَصيرِ . وبدأَ يحْيا مع والدِتِه حياةً جديدةً ، فى بيتٍ جديدٍ ، وأَخَذا يعيشانِ معاً معيشةً فيها شىءٌ من الراحةِ والسَّعادةِ والهَناءةِ .

سَمعتِ الأَميرةُ حَسناءُ بنتُ السُّلطان الكَثيرَ عنْ خالدٍ ومُوسيقاهُ ، فأَمرَت بإِحضارهِ إلى القَصر؛ لتَسْتَمِعَ إلى هذِهِ الموسيقى الحديثةِ ، وترى هذه اللُّعبَةَ العَجيبةَ .

(٥)

ذَهبَ الرَّسولُ إلى خالد ودعاهُ إلى القَصرِ ،وكانَ خالِدٌ جميلًا فى صُورتِه ، نَبيلًا فى خُلُقِه ، فَلَبسَ مَلابسَهُ الجديدَةَ ، وذهبَ معَ الرَّسول إلى قَصْرِ السُّلطان . فاسْتَقْبَلَهُ الْحَرَسُ اسْتِقبالاً حَسناً ؛ وأَخبرَت الأَميرةُ بحُضورهِ ، فاسْتَدْعَتْهُ (طَلبته) إلى البهْوِ الكبيرِ (القاعَة الكبيرة)بالقَصرِ حيث يجلسُ السُّلطانُ والسُّلطانةُ ، والأَميرةُ ، ومَعهُمْ كثيرٌ من الأُمراءِ والوُزراءِ والنبلاءِ .

حضرَ خالدٌ ، وطلبتْ منهُ الأَميرةُ أَن يُسْمِعَها لُعبتَهُ الموسيقِيَّةَ . فأَخرجَها من جَيبه . وفَرَكها بيَدِه ، فأَخذَتِ الموسيقى تَعزفُ (تلعب)عَزفاً جميلًا ، بنَغماتٍ عَذْبةٍ حُلوَة لم يَسْمَعها أَحدٌ منْ قبلُ. وأُعجبَ المُستمِعون الإِعجابَ كلَّه بهذِهِ الموسيقى ، وأَخَذوا يُصفقون بأَيديهم، اسْتحساناً وتقديرًا . وأُعجبتِ الأَميرةُ بنتُ السلطانِ إعجاباً شديدًا بهذه اللُّعبةِ الموسيقيةِ ؛ حتى طلبتْ من أَبيها أَن يَشْتريَها بالثَّمن الذى يُريدُه صاحِبُها .

سأَلَ السُّلطان خالدًا عن الثّمن الذى يُريدهُ ، فأَجابهُ بكلِّ شجاعَة ، وبغير تردُّد : «أُريدُ الْخَاتَمَ المَاسِيَّ الذى تلبَسُهُ الأَميرةُ فى إصْبَعِها » .

فقالتِ الأَميرةُ : «خُذْهُ » وأَخْرَجتِ الخاتمَ الْماسىَّ منْ إصْبَعِها وأَعْطتهُ خَالدًا ، فأَخَذهُ مَسْرورًا ، وأَعْطاها اللُّعبةَ الموسيقيةَ التى كانتْ فى يَدهِ . حينئذ صفَّقَ الحاضِرونَ ، وانْتَظَرُوا اسْتماع الموسيقى ، ولكنَّ الْمُوسيقى توَقَّفَتْ ، وانقطَعَ العزفُ (اللعب) ، وهزَّتِ الأَميرةُ اللُّعْبةَ الموسيقية بيَدَيْها مرَّةً أُخْرى ، وحاولتْ أَن تعْزفَ أَوْ تحْدِثَ صوْتاً مُوسِيقيًّا كما كانتْ تَعزفُ وهىَ فى يد خالد ، فلم يُسْمعْ لها صَوت مُوسيقىٌّ . حاوَل السُّلطانُ ، وحاوَلَتِ السُّلطانةُ ، وحاولَ الحاضرونَ جميعُهمْ أَن تعزفَ اللُّعبةُ المُوسيقيّة كما كانتْ تعْزفُ من قبلُ ، ولكنَّ المُحاولاتِ كلَّها كانتْ عَبثاً ، وبلا جدْوى (بغير فائدة) .

وأَخيرًا أُعيدَت اللعبةُ إلى خالد ، فأَخذَها وفَرَكها بيَدِه ، فبدأَتِ المُوسيقى تُسمَعُ كأَنَّ فِرْقةً مُوسيقيَّةً

مُدرَّبةً أَحسَنَ التدريبِ ، مُمرَّنةً أحسنَ التَّمرينِ تلعَبُ وتُحدِثُ أَعْذبَ النَّغماتِ ، وأَجملَ الأَصْواتِ. فتألَّمتِ الأَميرةُ بنتُ السُّلطان ، وطَلبتِ اللُّعْبةَ ثانيةً ، فرَدَّها خالدٌ إليْها . وحاوَلتْ مِرارًا أَن تلعَبَ بِها فلمْ تُفلِحْ ، ولم تنْجحْ . وانقَطعت المُوسيقى حينَما مسَّتْ يدُها اللُّعبةَ . فتألَّمتْ ؛ لأَنَها مُولَعةٌ بالمُوسيقى ، ومُحِبةٌ لها ، ورجَت أَباها أَن يَسْمح لخالد بالبقاءِ تابعاً ومُلاحظاً لها ؛ حتى تتمكَّنَ من الاسْتماعِ إلى الموسيقى كلَّما أَرادتْ أَو رغِبتْ فى اسْتماعِها .

وافَق السُّلطانُ ، وعُيِّن خالدٌ مُلاحظاً خاصًّا لِلأَميرةِ ، وأُعطِيَ ملابسَ خاصَّةً جميلةً ، يلبَسُها من يتبعُ القصر. ولم يُكلَّفْ أَىَّ عمل سِوى عَزفِ المُوسيقى للأَميرةوصَديقاتِها اللَّاتى يُلازمْنها أَو يجلِسْن معهَا. وأَمرَ السُّلطانُ بإِعْطاءِ خالد وأُمِّه بيتاً جديدًا مفروشاً بالقُربِ من القَصر. وأَصْبحَ خالدٌ الآنَ فى مركزٍ يَسْمحُ لهُ بأَنْ يُريحَ وَالِدَتهُ ، ويُقدِّمَ لها كلَّ وسائل الرَّاحةِ ، ويجعلَها سعيدةً هانِئةً مَسرورةً فى حياتِها المَنْزليّةِ. وقد أَغْنى اللهُ خالِدًا من حيثُ لا يدرى

ولا ينْتِظرُ .والْكلُّيَنظُرُ إلَيه نَظرةَ إعجابٍ وتَقديرٍ فى القصر وخارجِهِ . ولَيسَ هوَ فى حاجةٍ الآنَ إلى الوُقوفِ بالسوقِ أَو الميدان الْعامِّ لِلَعبِ المُوسيقَى . وهوَ يَشكرُ للهِ أَجزلَ الشُّكر عَلَى ما أَنعمَ به علَيهِ وعلَى والِدَتِه .

اسْتَمرَّ خالدٌ عاماً كاملاً يحْيا هذهِ الحَياةَ ، ويَعيشُ هذهِ المَعِيشةَ . وَقدْ بَلغَ منَ العُمْر ثَمانيَةَ عَشرَ عاماً . وَهُوَ قريبٌ منَ الأَميرةِ المتَكبِّرَةِ العابسةِ الْوَجْهِ التى لا تُحِبُّ إلا نَفْسَها ، ولا تُفكِّر فى غَيرها . وفى اسْتطاعتِه أَن يَراها كُلَّ يَوم ، وهوَ يُقَدِّرُها كُلَّ التقدير ويَتمنَّى أَن تكونَ زَوْجةً لهُ فى المُسْتقبل . وكثيراً ما حَلَم فى طُفولتِه أَنَّه سيَتزَوَّجُ أَميرةً . وَلا يستطيعُ أَن يَتصوَّرَ كيفَ تَتحقَّقُ هذهِ الأَحْلامُ .

وقد بلغتِ الأَميرةُ الآنَ سِنَّ الزَّواجِ ، وخَطبَها كثيرٌ مِن الأُمراءِ وَالنُّبلاءِ والأَشْرافِ ، وتَمنَّى كلُّ مِنهمْ أَن تكونَ الأَميرةُ زَوجةً لهُ ، ولكنَّها كانت ترفُضُ طلبَ كلِّ من يَتقدمُ لِخطبَتِها . وتعتَذِرُ باعتِذارات مُختلِفةٍ ولم ترضَ عَنْ أَىِّ خطِيبٍ خَطَبها . وَما زالتْ تحْلُمُ فى

أَحلامِهَا بالشَّابِّ الفقير الَّذِى يَسْتَطِيعُ أَنْ يقومَ بِأَشياءَ عجيبَةٍ وَغريبةٍ ، وَما فكَّرتْ فى يوم من الأَيامِ أَنَّ خالدًا هو ذلكَ الشابُّ الفقيرُ الذى قَدَّر اللهُ أَن يقومَ بالعجائب والغرائبِ ، ويُسْمِعَها الموسيقى متَى شاءَتْ ، وهو شريكُها فى حياتها المُقْبلةِ .

مرَّ عامٌ آخرُ وَخالدٌ بالقصْر، وَقد سَئمَ هذِهِ الحياة الَّتى لا عملَ فيها وَلا نشاطَ ، وَلا إنتاجَ ، وَلا مجهودَ . سَئم حياة الكَسل ، وبدأَ يَمَلُّ هذِهِ الحياةَ وَتلكَ المعيشةَ ، وقال لنفسِه : مُحالٌ أَنْ يُسْمحَ لى بتزوُّجِ الأَميرةِ ما دُمتُ هُنا أَحْيا هذِهِ الحياةِ ، وأُضيِّعُ مُستقبلى بلعِبِ هذِهِ اللُّعبةِ الموسيقيَّةِ السِّحريةِ . إنَّ شابًّا مِثلى فيهِ هذِهِ الصحةُ وَالقوَّةُ والاستعدادُ للعمل وحُسنُ تصريفِ الأُمور يجبُ أَنْ يُسافرَ إلى الخارجِ ليَرَى حَظَّه ، وما ينتظِرُهُ فى هذا العالَم ، وَهذِهِ الحياةِ .

ذكرَ خالدٌ لوالدَتِه كلَّ ما فى نفسِه وَلم يُخفِ عنها شيئاً ، وحدَّثَها عن حياته التى يحيَاها ، وبيَّنَ لها أَنَّ الحياة بغَيْر عمل لنْ تؤدِّىَ إلى السَّعادةِ فى المُسْتقبل ،

ووَضَحَ لهَا الأَملَ الذى يرجوه ، وَالرَّغبةَ التى يُفكِّرُ فيها ، وأَقنعَها بأَنَّ من الواجبِ أَنْ يُسافرَ إلى العالمِ ، ويُغامرَ لِيرَى حظَّه فى هذهِ الحياةِ . فالحياةُ بغيْر أَملٍ لا تُسَمَّى حياةً. وَالعَملُ هوالحياةُ ، وَالحياةُ هىَ العملُ .

ذكرَ خالدٌ هذهِ الرَّغبةَ لأُمِّه ، وبيَّنَ لها ما يجولُ بخَاطِرهِ مِنَ الرغَباتِ وَالآمال ، فرَجتْه أُمُّه أَنْ يَصْبرَ وَلا يَتسرَّعَ وَلا يُخاطرَ بحياته ؛ فإنَّ فى العجلةِ النَّدامةَ ، وَفى التَّأَنِّى[1] السَّلامةَ . وَإنَّ عُصفُورًا فى اليَدِ خَيرٌ مِن عُصفورَين على الشَّجرةِ . وَبيَّنَتْ لهُ أَنَّه قد يفقِدُ بتَسرُّعِه كلَّ أَمَلٍ فى الحياة . وَقد يخسرُ كلَّ ما رَبحهُ فى سَبيلِ ربْحٍ كثيرٍ ينْتظرُه وَلا يثقُ به .

أَصْغَى خالِدٌ إلى نَصِيحةِ أُمِّه ، وَأَخَذ يُردِّدُها فى نفْسِه ، ومكثَ مشغولَ البال ، قَلقَ الفِكر . وبَعدَ أُسبوعٍ كان خالِدٌ ماشِياً فى المَدينةِ ، فرأَى رجُلًا فى ناحيَةٍ منَ الشَّارع يَتحدّثُ معَ بَعضِ الشُّبَّان المُتعطِّلين الذين لا عَملَ لَهُمْ . وَكانَ ذلكَ الرَّجلُ يَلبَسُ ملابسَ

(١) عكس التسرع .

الْجُنْدية ،وَمِعْطَفَ الجُندية ، وَقَلَنْسُوَةَ[1] الجُنْدِيةِ ، وعلَى خَدِّهِ أَثرُ جُرْحٍ كَبيرٍ ، وَقدصَبغَتِ الشَّمْسُ وَجْهَه بالسُّمْرةِ الشديدةِ ، وقدحَمل ذِراعَهُ المَكْسُورَةَ الموضُوعَةَ فى جَبيرة .

اقْترِبَ مِنْه خالِدٌ وَسأَلهُ : هلْ كُنتَ ياسَيِّدى فى الحَرْب ؟ فأَجابَ الْجُنْدىُّ : نَعمْ يا سيِّدى ، كنتُ جُنْديًّا فى الحَرْب، ثمَّ رَجَعتُ من الْجُنْديَّة ، وَالسُّلْطانُ فى أَشَدِّ الحاجَةِ إلى شُبَّان أَقْوياءَ مِثْلك ،ليَلْحقُوا بالْجُنْدية ، ويُدافِعوا عن الوَطَن ، وَ إلَّا هُزِمَ الْجَيْشُ ،وَصارتِ البلادُ مِلْكاً لغيْره ، وأَصْبَحَ الوطَنُ مُحْتلاًّ بجُنودٍ منَ الأَعْداءِ .

اكْتَفى خالدٌ بما سَمِعَ عنْ حاجَةِ الوطَن إلى جُنودٍ أَقْوياء لِيَذُودُوا عن الوطن (ليدافعوا عنه) ، وَيَعْمَلوا للانْتصار علَى العَدُوِّ . وَلمْ يَنْتَظِرْ خالد ليَسْمَعَ مِن الْجُنديّ أَكْثرَ مِمَّا سَمِع . وَصَمَّم فى نفْسِه على اللَّحاق بالجُنْدية ، وَالدِّفاعِ عن الوطَن . ثمَّ أَسْرعَ فى الرُّجوعِ إلى القَصر ، وَاسْتأْذَن فى مُقابلةِ السُّلْطان فأَذِن لهُ . ومَثَل (وَقفَ) بَيْنَ يَدَيه ، وَقالَ لهُ يا صاحِبَ الْعَظَمةِ ، إنَّ الْجَيْشَ فى حاجةٍ إلى

(١) غطاء الرأس .

الْجُنودِ ، وَالوطنَ فى حاجة إلى مَن يُدافِعونَ عنْه . وأَرْجو أَن تَسْمَحوا لى باللَّحاق بالْجُنْدية فى الْجَيش ؛ كَىْ أَقومَ بواجبِى نَحوَ عَظَمة السُّلْطان ، ونحْوَ وَطَنى وَبلادى .

قَبلَ السُّلْطانُ لَحاقَ خالد بالْجَيش ، وقَدَّر فيه الشَّهامةَ والرُّجولةَ وَالوَطَنِيَّةَ ، ولَكنَّ الأَميرةَ رَفَضتْ هٰذهِ الرَّغْبةَ ، ولمْ تُرِدْ أَنْ تَسْمعَ شَيئاً عنْ تَرْكِهِ القَصرَ وَلَحاقِه بالْجُنْديَّةِ ، وَأَخَذتْ تبكى وَتُهَدِّدُ بأَنَّها سَتَموتُ مِن الأَلَمِ إذا لم يَبقَ خالدٌ حتَّى تَتَمكَّنَ مِنَ اسْتِماعِ مُوسِيقاه السِّحْرية .

حُقِّقَتْ رَغْبةُ الأَميرةِ ، ولمْ يُسْمحْ لخالدٍ باللَّحاق بالْجيْش ؛ لِأَنَّ ابنةَ السُّلطان لا يُمكِنُها الاسْتغْناءُ عَن المُوسِيقى

تَأَلَّمَ خالدُ أَشدَّ الأَلمِ لِعَدَمِ تحْقيق رَغْبتِه ، وَصمَّمَ على أَنْ يُعْطِيَها درْساً فى أَنْ تُفكِّرَ فى غيْرِها كما تُفكِّرُ فى نفْسِها ، وَتشعُرَ بشُعورِ سِواها ، وتتْرُكَ حُبَّ النَّفْس .

لِهذا خرجَ خالدٌ من القَصرِ فى المساءِ ، وذَهَبَ إلى المكانِ الذى قابَلَ فِيه أَحدَ الأَقْزامِ ، ومَعهُ اللُّعبةُ الموسيقيّة ونادى بصوْتٍ مُرْتفِعٍ : أَيُّها الأَقْزامُ الأَوفياءُ ، أَشكُرُ لَكمْ هَدِيَّتَكم الثمينةَ أَجْزَلَ الشكْرِ ، وَالآنَ أَرْجو أَنْ تُرْسِلوا مَنْ

يأخذُها ،وتحفظوهاعندَكمْ حتّى أَحْتاجَ إِليْهاوَأطْلُبَهامِنكم.
سَمِعَ الأَقزامُ هذَا النِّداءَ ، فأَرْسَلُوا إليْهِ وَاحدًا مِنْهُمْ ، وأَعْطاهُ خالدٌ اللُّعبةَ ، وَوَعدَ خالدًا بالاحْتفاظِ بهَا حتَّى يَطْلُبَهَا .

وفى الصَّباحِ أرسلَت الأَميرةُ إلى خالد ليعزفَ لها بلُعبتِهِ الموسيقيَّةِ ، فأَنبأَها (أَخبرها) بأَنَّ الأَقزامَ أَخذوها فى الليلةِ الماضِيةِ . فغَضِبَتْ غضباً شدِيدًا ، وتأَلَّمتْ أَلَماً كثيرًا ، وَاستمَرَّتْ مُتأَلِّمةً عابسَةَ الوجهِ ، وَأَرْسَلتْ بعضَ رجال المباحثِ لِلبحثِ عن الأَقزام ، وَإِحْضار اللُّعبةِ الموسيقيَّةِ منهمْ ، فلمْ يجدُوا الأَقزامَ ، وَلَمْ يستطيعوا إحْضارَ اللُّعبةِ ، وَرَجَعُوا كما ذَهبُوا .

اغْتاظَتْ بنْتُ السُّلطان ، وطلبَتْ مِن أَبيها أَنْ يأْمُرَ بقطعِ رَأْس خالدِ .

فقَالَ لها أَبوها : سأَفعل شيئاً أَحسنَ مِنْ ذلكَ ، سآمُرُ بإِرْسالهِ إلى الميدان ، وَهُنَاكَ سيُحاربُ وَسيُقْتَلُ مِنْ غير أَنْ نَتحمَّلَ إثماً ، أَوْ نرتكب خَطِيئةً أَوْ ذَنْباً.

(٦)

وَافَقتِ الأَميرةُ على هذا الرأى ، وارتاحتْ للَحاقِه بالجُنديةِ. وتحقَّقتْ رَغبةُ خالدٍ فى الانضمامِ إلى الجَيْش لتعلُّمِ الفُروسيةِ والفنون الحربيةِ ، والدفاعِ عن الوطن . وتظاهرَ السُّلطانُ بأَنَّه مُتأَلِّمٌ منْ خالدٍ ، وغَيْرُ راضٍ عنهُ ، وأَمرَ سِرًّا بالْعِنايةِ به ، والاهتمام بتدريبهِ (تمرينه) وتعليمِه فُنونَ الحَرب ، وترْقيتِه إذا أَظهرَ رُوحَ الشجاعةِ والبَسالةِ والإِقدام ، والمهارةِ الحربيةِ .

مرَّتِ الأَيامُ والشهورُ ؛ ونَسِيتِ الأَميرةُ اللُّعبةَ الموسيقيَّةَ ، وزال غضبُها ، وانتهى تألمها ، وتمنَّتْ رجوعَ خالدٍ إلى القصر ثانيةً ؛ فقدْ كان رفيقاً لها فى اللعِب ، يلعبُ مَعها أَحياناً بعضَ الأَلعاب المسلِّيةِ البريئةِ ، وكانت تجدُ فيه الأَمانَةَ والكمالَ . طلبَتْ من أَبيها أَن يأْمرَ برجوعِ خالد من الجيْش ، وترْكِ الحرب ؛ ليكونَ تابعاً لها ؛ يأْتمرُ بأَمرها ، وينتهى بنهيها كما كان . فلم يُوافقْ أَبوها على رَغبتها ، ورفضَ طلبَها . وقال لها :

«ليس من الحكمةِ أن أجعلَ الجنديَّ الذى يدافعُ عن الوطن خادماً يقومُ بعمل الْخَدم فى المنازل . إنَّ خالدًا لنْ يكونَ خادماً ، وَلن يكونَ رفيقاً فى اللَّعبِ كما كانَ ؛ فهو الآن ضابطٌ من أحسن الضُّبّاطِ فى الجيش ، وقد أظهرَ كثيرًا مِنَ الشجاعةِ والبسالةِ ، وقوَّةِ العزيمة ، والإقدام ، والمهارةِ فى فنون الحرْب . يُعْجَبُ به رُؤساؤُه كلَّ الإعجاب ، ويفْخرُ به مرْءُوسوهُ كلَّ الفخر . لهذا يجبُ أن تختارى لكِ رفيقةً أو صديقةً لتلعبى معَها» .

أَسِفَتِ الأَميرةُ لما حدثَ منها من غَضبٍ . وما بدا (ظهرَ) عليْها من عُبُوس وألم . وأحسَّتْ بأن أباها كان حكيماً بَعيدَ النظرفى إرسال خالد إلى الجيش ، وهوحكيمٌ فى معاملةِ الجنودِ ؛ لأَنهم خُلِقوا للذَّوْدِ (للدفاع) عن الوطنِ ، لا للخدمَةِ فى البيوتِ . وإن الأُمةَ التى تفكِّرُ فى الجُندية ، وتُعطى الجُنودَ حقوقَهم تستحقُّ أَنْ تتمتعَ بالحريةِ والاستقلال :

اختارتِ الأَميرةُ بعضَ رفيقاتها ووَصيفاتها للَعِب الموسيقى لها ، وكنَّ يعزفْنَ (يلعبن) على المِعْزَفِ

(البيانو) حتى يشعُرْنَ بالتعبِ. وَلم يعُدْ خالدٌ للعَزْفِ بلُعبتِه الموسيقيّةِ؛ فهو الآنَ ضابطٌ من كبار الضُّبَّاطِ في الحرب. وقد أظهرَ من المهارةِ والفُروسيّةِ والبطولةِ الحربيةِ ما لم يُظْهِرْهُ أحدٌ من رفقائِهِ.

لم تَشْغَل الأَميرةُ أوقاتَ فراغِها بالدِّراسةِ والقراءَة والاطِّلاعِ، والرسم والتصوير، والحياكةِ والتَّطريز، والأَلعابِ الرياضيةِ. والأَعمال الْخيريةِ كزيارة الملاجئْ والمستشفيَاتِ، ومُؤَاساةِ المرْضَى والفُقراءِ. فسئِمَتْ الحياةَ بغير عمَلٍ، ومَلَّت الوَحدةَ والعَزْلَةَ.

وَفي ذَلك الوقتِ حضَر إلى القصر وزيرٌ من الوزراءِ أرسَله ملكُ الغابةِ ليخطُبَ الأَميرة لتكونَ زَوجةً لسَيِّدهِ، ومَلكةً للغابةِ. وقدأحضرَالوزيرُمعه عشَرةً منَ العبيدِ. يتَّخِذُ كلٌّ منهم ملابسَه من جلدِ النَّمِر. وثلاثةً من الجمال مُحملةً بالهدايا النفيسةِ للأَميرةِ: جملٌ يحمِلُ ثلاثةَ صناديقَ ذهبيةٍ مملوءَةٍ بالملابس الحريريةِ، وآخرُ يحمِلُ ثلاثةَ صناديقَ من الفِراءِ الثمينةِ، وثالثٌ يَحمِلُ ثلاثةَ صناديقَ مُفعمةٍ (مملوءَة) بالجواهر النادرةِ. لم ترفُضِ الأَميرةُ في هذه المرَّةِ هذه الْخِطْبةَ،

وأَنبأَتْ (أَخبرتْ) أُمَّها وَأَباها أَنها راضيةٌ ، مُستعدةٌ للذَّهابِ مع الوَزيرِ الذى أَرسلَهُ الملكُ لتصيرَ ملكةً للغابةِ .

لم يَسْترحِ السُّلطانُ والسُّلطانةُ لهذه الْخِطبة ، وفَضَّلا أَن تتزوَّجَ ابنتهُما مَلكاً من الملوكِ ، أَو أَميرًا من الأُمراءِ الذينَ تعرفُهمْ ويَعرفونها ؛ لأَنَّ تزوُّجَها مَن تَعْرفُ خَيْرٌ من أَن تتزوَّجَ مَلكاً غريباً لم تعرفْهُ وَلم يعرفْها ، وَلم ترَهُ وَلم يرَها من قبلُ. لم تُجْدِ (لم تنفع) النصيحةُ فى الأَميرة : فقد كانت عنيدةً تُنفِّذُ ما يجُولُ بخاطِرِها . ثم تَندمُ عَلَى مافعلَتْ ،وتُقْدِمُ على الشيءِ بغيرِ رَوِيَّة ،ثم تأْسَفُ لسوءِ النَّتيجة . وأَخيرًا خَضع السُّلطانُ والسُّلطانةُ لرَغبةِ الأَميرة ، وأَعدَّا لها ما تحتاجُ إِليْه ، فى رِحْلتها وزَواجها .

ركِبَتِ الأَميرةُ (عربتَها) تتبعُها (عرباتٌ) بها عشْرُ وَصيفاتٍ ، وَجيادٌ يركبُها عَشرَةٌ من الخدَمِ وعَشَرَةٌ من العبيدِ ، يحْملونَ ما عِندَ الأَميرةِ من ملابسَ حريريَّةٍ ، وَفراءٍ جميلة ، وجواهِرَ ثمينةٍ . وكان يرْأَس القافلةَ الوَزيرُ الذى أَرسلَهُ ملكُ الغابةِ .

سافَرَتِ الأَميرةُ وقد وَدَّعتْ أَباها وأُمَّها ، ووَدَّعاها

وَهُما أَسِفانِ كلَّ الأَسَفِ لهذه الخِطبةِ وهذا الزواجِ.
وبعدَ أَن تَركوا مدينةَ السلطان قال الوزيرُ للجميعِ :
يجبُ أَن نُسرعَ حتى نجْتازَ الغابةَ قبلَ غروب الشمس.
فأَسْرَعَ الجميع بعَرباتهمْ وجيادِهم ، وسَرْعانَ ما وَصلوا
إلى الغابةِ وَالأَميرةُ والوزيرُ فى مُقَدِّمةِ الراكبينَ جميعهم.

اسْتمرُّوا سائرين فى الغابة حتى وَصلوا إلى شَجرةٍ
ضَخْمةٍ . وهناك اسْودَّت السماءُ ، وكثُرَت الغيُومُ ،
وَاشتدَّ الرَّعدُ والبَرْقُ . وبدأَتْ عاصفةٌ شديدةٌ ،
والجَوُّ مُظلمٌ ، والليلُ حالكٌ (أَسود) لا يستطيعُ أَحدٌ
أن يرى الآخر . والمطرُ غَزير ، فَبَحَثَتِ الوصيفاتُ
العَشْرُ ، والخَدَمُ والعبيدُ عن مأْوًى يَلجئُون إليه ،
ويَنزلون به . فوجَدوا بالقُرب منهم كوخاً فأَسرَعوا
للاحْتماءِ به . استمرَّتِ العاصفةُ طولَ الليل ، وأَخيرًا
وَقف المطرُ ، وطَلَعَتِ الشمسُ ، وذَهَبتْ ظُلمةُ
الليل وَسوادُه . وخَرجَتِ الوَصيفاتُ والخَدَمُ والعبيدُ منَ
الكوخِ . وأَخذوا يَسْأَلون عن الأَميرةِ ويبحثون عَنها ،
فلمْ يجدوا لها أَثرًا ، ولم يجدوا الوزير الذى كان مَعها

وأخذوا يصيحون ويبكون ، وصاحت الوصيفاتُ : ماذا نَفعلُ ؟ وماذا نقولُ للسطان والسلطانة ؟ وفى أثناءِ الصياح اختَفى العبيدُ العَشرةُ فجأةً ، ورأتِ الوصيفاتُ عَشَرةً من الغِرْبانِ تَطيرُ فَوْقَ الكوخ ، وقد خافت الوصيفاتُ والْخَدمُ بعدَ اختفاءِ العبيدِ العَشرةِ وخَطْفِ الأَميرة واختفائِها ، ثمَّ رجَعَ الجميعُ مُسرِعينَ إلى القَصْر وهم فى شِدَّةٍ للذُّهول ، لا يَدْرُون ماذا يقولون، أوماذايفعلون ؛ فقد رأَوْا ما لم يَرَوْا من العاصِفةِ والرَّعدِ والبرْق ، واختفَتِ الأَميرةُ ولم يُحِسَّ بها أحد ، واختَفى العبيدُ ولم يُحِس بهمْ أحد ، ولم يستطيعوا تفسيرَ هذه الأَمور أو فَهمَها .

(٧)

حَزِن السلطانُ والسلطانةُ أَشدَّ الحزْن حينما سَمِعَا بما حدثَ منْ اختفاء الأَميرةِ أو خَطفِها ، وأَمرَ السُّلطانُ بإِعدادِ الحرَس والجنودِ ، للبَحْثِ عن الأَميرةِ المفقودةِ ، وخَرجَ الملكُ يَصْحبُه كثيرٌ من الضُّبَّاطِ والجُنودِ والسُّكان للبَحثِ عن الأَميرةِ فى الغابة ، ومَعهُم

أَسلحتُهمْ وذخائرُهم ، وما يحتاجون إليه فى رحلتهم الطويلةِ الشاقةِ ، وأَخذوا يسأَلون ويَبحثون ليلًا ونهارًا ، عاماً كاملاً ؛ ولكنهم لم يَجدوا أثرًا للأَميرةِ أَوْ أثرًا للوزير الذى أَحضر الهدايا معه . وبعد أَن يئِسُوا من السؤال والبحثِ ، رجعَ السُّلطانُ ورجاله إلى بلادهم. وقدْ حزن الجميعُ لحُزن السلطان والسلطانة ؛ وتألَّموا لأَلِمهما ؛ لأَنهم جميعاً كانوا فى نهاية الوفاءِ والإِخلاص والولاءِ ، للسلطان والسلطانةِ ، وعمَّ الحُزنُ الجميعَ لِفقْدِ الأَميرةِ ، واختفائها ، وعدَم معرفةِ مصيرها. مرَّت الأَيامُ والكلُّ فى حُزْن . ولم تَرجع الأَميرةِ ، ولم يُسمَعْ لها خبرٌ .

مرَّتْ ثلاثُ سنواتٍ مُنذُ لَحِق خالدٌ بالجيش ؛ وانتهت الحربُ بالانتصارِ على العدُوِّ ، ورجعَ الجنودُ المنتصرون إلى بلادهم . ورحَّبت بهم بلادُهم ، وعاد خالدٌ معهم ، بعد أَن جُرحَ فى الحرْب ثلاث مرَّاتٍ ، وصبحَ من كبار الضباط المعروفين بالتضحية والبَسالة والشَّجاعة والإِقدام ، وقد طَلَبهُ السلطان وهنأَه بمواقِفِه العظيمة ، وجعلَه رئيساً لحرس السلطان .

وقد سمِع خالدٌ طبعًا بما حدثَ من اختفاءِ الأَميرةِ ، ولم يفُهْ بكلمةٍ ، ولم يقلْ لأَحد شيئًا . ولكنَّه عزَم عزْمًا أَكيدًا علَى أَن يبحث عنها حتى يعثرَ عليها (يجدها) بأَيٍّ وسيلة من الوسائل ، ولكنْ كيفَ يعثرُ عليها ؟ وكيفَ يجدُها ؟ وأَين يجدُها ؟ لقدِ استمرَّ السُّلطانُ سنةً يبحثُ عنها بغيرِ جدْوى (بغير فائدة) . وبُحثتِ الغابةُ مِرارًا جُزءًا جزءًا بلا فائدةٍ ، وأُرسِلَ كثيرٌ من الرُّسُل للسؤال عنها فى البلادِ المجاور . وعادوا جميعاً بدُونها ، ولم يجدُوا لها أَثرًا ، ولكنَّ خالدًا كان يأْمُل كلَّ الأَمَل فى العثور عليها . وَهوَ مصمِّمٌ على أَن يُعيدَ المحاولةَ والبحث عنها منْ جَديد ، وهو يعتقدُ تمامَ الاعتقادِ أَنَّه سيجدُها فى النِّهاية .

تقدَّمَ خالدٌ إلى السلطان ، وأَنبأَه (أَخبره) بما عَزمَ عليه ، واسْتأْذنهُ فى أَن يُعطيَه إجازةً للبحثِ عن الأَميرةِ ، فأَذِن لهُ السُّلطانُ ، وغيَّرَ ملابسَهُ وهىَ مَلابسُ كَبيرِ الْحَرَس ، واسْتبْدَلَ بها مَلابسَ عاديَّةً يَلْبَسُها رجالُ الغابةِ ، وأَخذَ معهُ حقيبةً صغيرةً بها الأَشياءُ الضَّرُوريَّةُ فى



خالد في الغابة يعد طعامه على النار ليتناول عشاءه

سَفَره ، ثمَّ وَدَّعَ السُّلطانَ ، وسافَرَ للبَحثِ عن الأَميرةِ.

سافرَ حتَّى وَصَلَ إلى الغابةِ ولم يَشْعُرْ به أَحدٌ ، ولم يُحِسَّ به إنسانٌ ، وسارَ فى الغابةِ حتى رَأَى قِطْعةً خَشبيَّةً من بقايا جُذوعِ الأَشجارِ الكبيرةِ . فجلَسَ عليها ، وأَوْقَدَ النَّارَ . وأَخذ يُعِدُّ الطعامَ لِنفسه ، وتَناوَلَ عَشاءَهُ ، ثمّ أَخَذَ يُصَلِّى ويَعْبُدُ اللهَ . وَدَعا اللهَ أَنْ يُوَفِّقَهُ فى رِحْلَتِه. وكان ضَوْءُ القَمَرِ ساطِعاً ، والْجوُّ صافياً .

وَقَفَ خالد ونادَى بصوتٍ مُرْتفعٍ : أَيُّها الأَقْزَامُ لأَوْفياءُ ، أَيْنَ أَنتمْ ؟ فإنى فى شِدَّةِ الحاجة إلى مَعُونتكم.

كانَ الْهُدُوءُ شَامِلا ، والسكونُ عامًّا ، لا صَوْتَ ، اوَلا حَرَكةَ فى الْغَابةِ . وبَعْدَ دقيقتين من هذا النِّدَاءِ ، حضَرَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الأَقْزَام . لمساعدةِ خالدٍ فى شِدَّتِه ، وكانوا نَحْوَ خَمْسمائةِ قَزَمٍ ، فحيَّوْا خالدًا . وحَيَّاهم ، وجلسوا جميعاً معهُ حولَ النَّارِ التى أَوْقَدَهامنْ قبلُ ، ثمَّ تقدَّمَ كبيرُهم إلى خالد وسَأَلهُ : ماذا يُريد مِنَّا كبيرُ الحرس الآن؟ إننا علَى تمامِ الاسْتِعْدادِ لتحقيق أَوامرك ، وتنفيذِ رَغَباتك.

ذَكَرَ لهمْ خالدٌ قِصَّةَ الأَميرةِ واختفائها ، والْبَحثِ

عَنها بغَيْر فائدة .

وقالَ لهمْ : سَأَكُون عاجزًا عن الشُّكْر إذا أَخبَرْتُمونى أَيْنَ هىَ ؟ وَأَين ذَهَبت ؟ وَفى أىِّ مكانٍ تعيشُ ؟

فَهَزَّ جميعُ الأَقزام رُءوسهمْ ، وأَجابَ كبيرهم : إنَّ ملكَ الْغابة – وَهُوَ ملكٌ جبارٌ كبيرُ الْفخر – قدْ خَطبَهَا ، وَأَخَذَها لتكُونَ زَوْجَةً لهُ ، وملكة لِبِلاده ؛ لأَنَّها أَكْثرُ الأَميراتِ غَطرَسَةً وتكبُّرًا وعِنادًا ، وَمَعَ أَنَّها رَفَضَتْ نصيحةَ أَبوَيْها ، وَرَضيتْ بهذَا الزَّوَاج فى الْبدْءِ لم يَسْتطعْ مالكٌ الْغابة أَن يجعَلهَا زَوْجَةً لهُ ، ولم يُفلحْ فى إخضاعِها ، فقدْ رفَضَتْ أَنْ تتزوَّجَهُ بَعْدَ أَنْ رَأَته وَرآها ، ونَفرتْ منهُ وحاوَلَ المستحيلَ لإِخْضاعِها وَإرْغامِها عَلَى الزَّوَاج ، ولكنَّهُ لم ينْجَحْ ، فأَمرَ بجَعْلها جاريةً منْ جَوَاريه ، تقومُ بعمل الجوارى مِنْ كنس الأَرض ، وتنظيفِ الْبلاط ، وَإطعَام الدَّجاج وَالإِوَزِّ والحيوانات .

(٨)

فَصَاح خالد : كيفَ أَجدُها ؟ وكَيفَ أَصِلُ إليها؟

إنى مُسْتَعَدٌّ لأَنْ أُخاطِرَ بحياتى فى سبيل إنقاذِها من حياةِ الذِّلَّةِ والْعُبُودِية .

هَزَّ الأَقزامُ رُءُوسهم ، وشَرَحَ لهُ كبيرُهم نتيجةَ هذه المخاطَرة : وَقالَ له ليسَ منَ السهل أن تصل إليْها. ولَيسَ من السَّهل أَنْ تنقذَ حياتَها ؛ فهناكَ عَقَباتٌ كثيرةٌ ،وأَخطارٌ محققةٌ ، تقفُ فى سَبيلك ، وتعتَرضُكَ فى الطَّريق.

رَجاهُ خالدٌ أَن يُبيِّن لهُ الطريقَ . ويُوضِّحَ لهُ السَّبيلَ . وَيترُكَ النَّتيجة لله ؛ وَقالَ لهُ : إنِّى مُسْتعدٌّ لأَنْ أُقاتلَ هذا الملك الْجَبّارَ الظَّالِمَ حتى أَنتصِرَ عليه بيدى وذِراعى، وهُنا أَعاد كبيرُ الأَقْزام اللُّعبةَ الموسيقيةَ إليه : وقالَ له : خُذْ هذه يا خالدُ ؛ فقدْ احْتفظْنا بها لك ، وَأَنتَ الآن فى شِدة الحاجةِ إليها . خُذْها وَضَعْها فى جَيْبكَ ، فإنها ستُساعِدُك عَلَى الانتصار ، وَعَلَى الْعُثُور عَلَى الأَميرةِ الْمَفْقُودةِ .

سَأَلَ خالدٌ كبيرَ الأَقزام : ولكنْ كيفَ أَصِلُ إلى ملكِ الْغابةِ وأَقطارِ الْمُظلمة ؟

فأَجابهُ : عِنْدَ مُنْتَصَف اللّيل سَتَهتزُّ الأَرْضُ هَزَّةً

عنيفةً ، وتُفتَحُ فَتْحَةٌ فى الأَرض وَسيَخْرُج مِنْها أَحدُ أَتْباع ملك الْغابةِ ، فَقَبْلَ أَنْ تُقْفَل تلك الْفَتْحَةُ ، ٱدْخُلْ وأَسْرِعْ ، وَسَتَجِدُ نَفْسَكَ عِندَ مَالك الْغابة الْمُتغطرِس الْجَبَّارِ بعد قليل ، وَباللُّعبةِ التي مَعكَ سَتنْتَصرُ عليهِ إنْ شاءَ اللهُ.

فقالَ له خالدٌ : بمعونةِ الله ، وبسَيْفى هذا سأَنتصِرُ عليهِ فهزَّ الْقَزَمُ رأسَه ، وقال له : إنَّ السيف وَحدهُ لن ينْفَعَكَ فى هَذا الصِّراعِ الشديد ، فَافعلْ ما آمُرُكَ به حتى تَسْتطِيعُ الوصول إلى الأَميرَةِ ، وَاعْتَمِدْ على الله ، وعَلَى يدِكَ الْقَويةِ ، وَذِراعِك اليمنى ، ولاتَنْسَ هذهِ اللُّعبةَ السِّحريةَ الموسيقية ؛ فإنَّها سَتُساعدُكَ على النَّصرِ والنَّجاةِ وَإنقاذ الأَميرة.

فشكرَ له خالدٌ نصيحتهُ ، ثُمَّ رَجَعَ الأَقْزامُ مع رئيسهم إلى أَكواخِهم . وَأَخذ خالدٌ يشغلُ نفسَه بصُنعِ بعض الأَقواس والسِّهام حتى يَنْتصفَ اللَّيلُ .

وَفى مُنتَصَفِ الليل حدثتْ هَزَّةٌ عَنيفةٌ فى الأَرْض وَفُتِحَتْ فَتحةٌ كبيرَةٌ فيها ، فنزلَ مُسرعاً ، وَسار فى طريقه حتى وَصَلَ إلى مغارةٍ كبيرَةٍ ، وَرَأَى نارًا مُشتعِلةً فى وَسَطِها ، يجلِسُ بالْقرْبِ منها عَلَى كُرْسىٍّ كَبير

رجلٌ أَسْوَدُ اللَّوْن، ضَخمُ الْجسْمِ. حَجْمُهُ كَحَجْم اثنَيْن من الرِّجال الْعَاديينَ ، وعلى رَأْسِه تَاجٌ ذَهَبِيٌّ ، وَحَوْلَ رقبتهِ عِقْدٌ ذَهَبِيٌّ ، يلبَسُ مَلَابسَ مِنْ جُلودِ السِّباعِ ، وَبجانبه عَصًا كبيرَةٌ مُدَبَّبَةٌ فى نهايتِها ،وَقَدْ وَقف خَلفَه كثيرٌ من الْعبيدِ السُّودِ الأَقْوياءِ . تقدَّمَ خالدٌ إلى الْمَالك ، وحَيّاه باحْترام ، وَقال له أَيُّها الْملكُ ،لقدْ حضرْتُ لمُطالَبَتِك بالأَميرةِ المفقودةِ ، وَإِنِّى مُسْتَعِدٌّ لمقاتلتكَ فى سَبيـاها. وَإِنَّ مَن يفوزُ فى الصراعِ والقتال يأْخُذُهَا زَوْجَةً له .

سَمِعَ ملكُ الْغَابةِ هذا التَّحدِّىَ ، وَهذا الْكلامَ ، فَضَحِكَ ملْءَ فيهِ ، ونَظَرَ إلى خالِدٍ باحتقارٍ ، وقال: إنَّكَ تدَّعِى الشجَاعةَ ، وَتُعَرِّضُ نفسكَ لِلمَوْتِ الذى لاشكَّ فيه . ولَنْ أَقْبلَ هذه الأَميرَةَ الْمُتغطْرسةَ زَوْجةً لى ؛ فهى الآن جاريةٌ من الجوارى عندى . ولن يَراها أَبَوَاها بَعدَ الْيَوْم .

قال خالدٌ : إنِّى وَاثِقٌ يا سَيِّدى أَنَّ عِندَكَ كثيرات من الجوارى . وأَرجو أَنْ تُطلق سَراحَ هذه الأَميرةِ . وتعفُوَ عَنْها ، فإنها لا تستطيعُ أَن تعيشَ فى هذه البلادِ .

فَصرخَ الْملكُ غاضباً ، وقالَ لهُ : مُحَالٌ أَنْ

أَعْفُوَ عَنها أَوْ أُطْلِقَ سَراحَها . اذْهبْ إلى حالِكَ أيها الرَّجلُ ، وَإلاَّ عَرَّضْتَ نفسَك للْموْتِ . وزَأَرَ ملكُ الغابةِ وزَمْجَر كما يَزْأَرُ الأَسدُ ويُزمْجرُ ، وصفَّقَ الْملكُ بيديْه ، فأَقبلَ دُبٌّ أَبيضُ مُتوحِّشٌ ، ضخمُ الجسمِ ، فَربَّتَ ملكُ الْغابةِ عَلَى رَأْسِهِ ، وصفَّقَ بيديهِ ثانيةً ، وَأَشارَ إلى خالدٍ ، فأَقبلَ الدُّبُّ نَحْوَهُ بشكلٍ مُزْعجٍ ، فأَخَذ خالدٌ سيفه وضرَب به الدُّبَّ ضربةً قويةً أَصابته فى عَينه ، ولَمْ تُؤثِّرْ فيهِ تَأْثيرًا كبيرًا .

ضَحِك ملكُ الْغابةِ وقالَ : ليسَ فى استِطاعةِ إنْسانٍ أَنْ يقتُلَ هذا الدُّبَّ . وَقفَ خالدٌ وقْفَةَ الْقائدِ الشُّجاعِ ، وَصَمَّمَ على الانتصار أَو الْمَوتِ . وفى الوقتِ الذى فَتَحَ فيهِ الدُّبُّ نابَيْه وَأَراد أَن يَنقَضَّ على خالد ويَطرَحه أَرضاً ، تذكَّرَ خالدٌ اللعْبةَ المُوسيقية السِّحريةَ ، فأَخرجَها مِن جَيْبه قبل أَن يَنقَضَّ عليهِ الدُّبُّ ، وفركها بيده ، فابتَدأَتِ الموسيقى تَعزفُ عزفاً جميلًا ، وأَخَذ الدُّبُّ يرْقصُ على المُوسيقى ببُطْءٍ فى البدْءِ ، ثمَّ ارتفَعت الْموسيقى ، فأَسرع الدبُّ فى

الرَّقص ، ثمَّ أَسرَع ؛ ولم يَستطِع الْملِكُ وعبيدُه ومُسْتَشارُوهُ أَنْ يَحْتمِلوا اسْتماعَ هذهِ المُوسيقى ، فَفَرُّوا وَهرَبوا . ضَحِك خالدٌ وأَغرَقَ فى الضحِك ، وترَكَ الدُّبَّ يَرقصُ مدةً ليستْ بالْقصيرةِ حتى تَعِبَ تَعباً شديدًا ، ووَقعَ عَلَى الأَرض ، ونامَ نوماً عميقاً . وحينئذٍ تركَ خالدٌ هٰذا المَكانَ ، وسارَ فى مَمرٍّ آخرَ مُمْسِكا بيَدِهِ اليُسْرَى لُعْبَتَهُ الْموسيقيةَ ، وبيَده الْيُمنَى سيفه القاطعَ . وفى أَثناءِ سَيره قابلَ سَبُعاً ونمِرَين . وتأَثَّرتِ الحَيوانات بالْمُوسيقى ، ومرَّ بها مِن غَيْر أَن تمَسَّهُ بأَذًى . وقال خالدٌ لِنفسِه : لو اسْتَمرَّتِ الحالُ هكذا فَإِنِّى سأَجدُ الأَميرةَ لا مَحالَةَ ، وسأُنقذها فى النهايةِ إن شاءَ اللهُ . اسْتمرَّ فى سَيره وتَنَقَّلَ من مَمرٍّ إلى آخرَ ، ومِنْ بَيتٍ إلى آخَر ، ومن حُجْرةٍ إلى أُخْرى ، فلَمْ يُقابلْ أَحدًا ، ولَمْ يُقابلْهُ أَحدٌ . واسْتَمرَّ فى سَيْره حتى وَصَل فى النِّهايةِ إلى حُجرةٍ منَ الْمغارةِ وَتَفتْ عندَها الموسيقى .

نَظَر خِلال باب لْحُجرةِ ، فَسمع طائرًا مِنَ الطيور يُغَرِّدُ ، فاقتَحم الْحُجرةَ ودَخَلَها ، فَرأَى فَتَاةً



دخل خالد الحجرة ، فرأى الأميرة تكنس الأرض بمكنسة ، وقدماها حافيتان ، لا تلبس جورباً ولا حذاء

فائقَةَ الجَمال . طويلَةَ الشَّعر ، تَلبسُ مِعطَفاً بالياً ، وقَدَماها حَافِيَتان لا تَلبسُ جَوْرَباً[١] ولاحذاءً ، تَكنُسُ الْأَرْضَ بالْمِكْنَسةِ الطَّويلةِ .

(٩)

لَمْ تَنظُرالفتاةُ حينما فُتحَ البابُ ، ووَقَفتْ ساكنةً ، ورأْسُها فى الأَرض ، ويداها قابضتان على يَدِ المِكنسةِ.

نظرَ خالدٌ إلى الفتاةِ ، فعرَف من النَّظرةِ الأولى أَنها الأَميرةُ الجميلةُ المفقودةُ ، وصاحَ : أَيتُها الأَميرةُ ، لقد وَجدْتكِ أَخيرًا ، وانحنَى أَمامَها إجلالًا لها . نَظرَتِ الأَميرةُ إلى الشَّابْ الشُّجاعِ الواقفِ أَمامَها نظرةً فاحِصةً ، فعرفتْهُ وَمدَّتْ يَدَها إليهِ قائلةً : يا خالدُ ، أَلستَ خالدًا ؟ كَيف وَصلْتَ إلى هذا المكان المظلمِ ؟ وكيفَ أَتيتَ إلى هذه المغارةِ الموحشةِ ؟

أَجابَها خالدٌ : أَيتها الأَميرةُ العزيزةُ : لقد أَتَيت لأَخْذِكِ من هُنا ، وإنقاذِ حياتِكِ ، وإعادتِك إلى بلادك وإلى أَبيكِ وأُمّكِ ، وقد مضتِ الآنَ ثَلاثُ سنواتٍ مُنذُ خُطِفتِ ، وكنتُ فى الحرب طِوال هذه المدَّةِ .

(١) هو ما يسمى (بالشراب)

قالتِ الأَميرةُ بصوْتٍ محزونٍ ، لقد مَضتْ هذه السنواتُ كأنَّها مئاتٌ من السِّنينَ ، وكنتُ فيما مَضَى مُتَكبِّرةً مُتغطرسةً ، عَنيدةً شرسَةً . وقد عَلَّمتنى الأَيامُ يا خالدُ كثيرًا من الدُّروس وَالتجارب ، وَقد تركتُ الْكبْرَ والْغطْرَسةَ ، والْعِنادَ والشَّراسَةَ . وندمت كُلَّ الندم عَلَى مُخَالَفَةِ أَبى وأُمِّى . وَلَو اتَّبعتْ نَصِيحَتَهما ما حدثَ لى ما حدثَ ، وَمَا قَضَيتُ هذهِ الْمُدَّةَ مُعَذَّبة فى هذه الْبلادِ الْمُظْلِمة الموحشةِ .

قالَ خالد : لقد كنتِ دائماً الأَميرةَ الجميلة فى نَظرى فى الوَقتِ الذى كنتُ فِيهِ فقيرًا . وكانتْ أُمِّى فَقيرةً تعيش مَعِيشَةَ الْفُقراءِ ، وأَشْتغلُ بدراهِمَ مَعْدُودة فى الشَّهْرِ. وَكنْتُ فى ذلكَ الوقْتِ أَحلُمُ بكِ قَبْلَ أَن أَراكِ ، وأَحْلُمُ بكِ وَأَنا أَشْتغلُ بالبُسْتان ، وأَحْلُمُ بكِ وَأَنَا خَادِمٌ ، أَكنسُ البيْتَ ، وَأُنظِّفهُ كما يُنظِّفهُ الخادمُ .

قالتِ الأَميرةُ : إِنَّنى الآنَ جاريَةٌ من الجوارى ، أَكنسُ الْحُجَرَ ، وَأُنظِّفُ الأَرْضَ وأَمْسحها ؛ فإِنَّكَ ترانى الْيَوْمَ حافيةَ الْقدمين ، لا جَوْربَ وَلا حذاءَ ، وبيَدِى

المكَنَسةُ أكنسُ بها الأَرضَ كما تَرَى ، وسُبحانَ مَنْ يُغَيِّرُ الأَحْوالَ ، يُعزُّ من يشاءُ ، وَيُذِل مَن يَشاءُ ، إِنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ . وتَساقَطَتِ الدُّمُوعُ مِن عَينَيْها .

أَخَذَ خالدٌ المِكنَسةَ مِن يَدِها وكَسَرَها . وأَلْقَى بها بعيدًا على الأَرض ، وَقالَ لَها : أَنْتِ الآنَ آتِيةٌ مَعى ، وَسَتَرْجِعينَ إلى أسْرَتِكِ وَبلادِكَ .

هَزَّتِ الأَميرةُ رأْسَها وَالحُزْنُ يَملأُ قلبَها وَقالَتْ : إِنى لا أَسْتطيعُ أَن أَترُكَ هذا المكان ؛ فقد سَحرَنى مَالكُ الْغابةِ ، وَسَيستمِرُّ هذا السِّحْرُ حَتى أَسْمَعَ الموسِيقى فى تلك المغارَةِ المظلِمَةِ ، وهذا المكان الْمُوحِش .

قالَ خالدٌ ـ وَقد تملّكهُ الْعَجَبُ ـ : لا تُفكِّرى ولا تَحزَنى ، فبمعُونَة الله سَننْتَصِرُ . وأَمْسَكَ بيدِهِ لُعبتَهُ الموسيقِيَّةَ ، وقال لها : أَلا تَسْمعِينَ؟ إنَّ الطائرَ يُغرِّدُ الآنَ .

قالَتِ الأَميرَةُ : إنِّى لا أَسْتطيعُ أَن أَسْمَعَ هذا الطائرَ . وَفى الوقتِ الذى أَسْتطيعُ فِيهِ أَن أَسْمَعَ تَغريدَ الطائر أَوْ أَسْمع الْمُوسيقى ، أَعرفُ أَنَّ تأْثيرَ السِّحْر قد زالَ ؛ وأَن السِّحْرَ قد ذَهبَ .

فحَرَّكَ خالدٌ اللُّعبةَ الموسيقيةَ بيده ، فبدأَت الطُّيورُ تُغنِّى وتُغَرِّدُ بأَصْوات مُوسيقية مُرتفِعة . وأَخذت اللُّعبةُ الموسيقيةُ تَعْزفُ عَزْفاً عذباً مُشجياً ، وارتَفَعَ تغريدُ الطُّيور . واشتدَّ عَزْفُ الموسيقى . وهُنا صاحتِ الأَميرةُ : إنِّى الآنَ أَستطيعُ أَن أَسمع تَغريدَ الطُّيُور . وَالآنَ أَسمعُ الموسيقى . واشتدَّ فَرَحُها . وَزادَ سُرُورُها . وَأَخذَتْ تَتَحرَّكُ حولَ الحُجرةِ حركات مُوسِيقيةً سريعةً حتى تعبتْ ، ووقَعَتْ على الأَرض مَغشياً عليها .

فأَسْرعَ خالدٌ وأَحضرَ لها كوباً من الماءِ ، وقَدَّمهُ لها ، فشربتْ وأَفاقتْ . وعادتْ إلى حالتها . وقال لها : تَعالَىْ أَيَّتُها الأَميرةُ . يجبُ أَنْ نذهبَ الآنَ .

فقالت الأَميرةُ بصوت خافت (ضَعيف) : يَجبُ أَنْ تأْخُذَنِى مَعَكَ يا خالد . واحمانى فإِنِّى ضَعِيفَةٌ عاجزَةٌ عَنِ المشى . ولا تتركْنِى مَهما يحْدُثْ . وإلَّا قُضىَ عَلَيَّ بِالذُّلِّ والْعُبُودِيَّة إلى الأَبَدِ .

حِينئذٍ رَفَعَهَا خالدٌ مِنَ الأَرْضِ بذراعَيْهِ ، وحَمَلَها وَأَخْرَجَها منَ الْحُجْرَةِ ، ثمَّ طارَت الطُّيُورُ فَوْقَهْ .

وَاسْتَمَرَّتْ تُغَرِّدُ ، وَبَقِىَ خالدٌ قابضاً بيدِهِ على اللُّعْبَةِ المُوسيقِيَّةِ ، واستمرَّتِ الطيورُ تُغَرِّدُ ، وَالموسيقى تَعْزِفُ ، وخالد سائِرٌ فى طَرِيقِهِ يحملُ الأَميرةَ عَلَى كَتِفَيهِ .

اسْتمرَّ سائِرًا فى طريقِهِ ، فَظَنَّ فى نَفسِهِ أَنَّهُ لَنْ يجدَ وَسِيلَةً لِلْخُرُوجِ منْ هذا المكان المظلم . وَفى الوقْتِ الَّذى بَدَأَ يَظُنُّ فِيهِ هذا الظَّنَّ رَأَى نَجماً مُضِيئاً ساطِعاً ، مُنِيرًا عاليًا من سَطْحِ المغارَةِ . وَفى هذا الوَقْتِ انْقَضَّ عليهِ نَسرٌ مُتَوَحِّشٌ ثائرٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُرَ وَجْهَهُ ، فَقَبَضَ عليه خالدٌ بيدهِ الْيسرَى . وَأَخَذَ النّسْرُ يُرَفْرِفُ بجناحيْهِ يُحاولُ الْهَرَبَ ، فَلَمْ يَتْرُكْهُ خالدٌ على الرَّغْمِ من كلِّ المحاوَلات التى قامَ بها النَّسْرُ ، ثم تحوَّلَ النَّسرُ إلى ثُعبانٍ يريدُ أَنْ يَعَضَّهُ ، فلم يتأَثرْ خالدٌ بالثُّعبان ، واستمرَّ قابضاً عليهِ بيدهِ الْيسرى ، وفى يدهِ اليمنى اللعبةُ الموسيقيَّة . وَفى الوقتِ نفسهِ كان يَحمِلُ الأَميرَةَ الْمريضَةَ ، ولم يُفَرِّطْ فيها ، واستمرَّ حاملا لها على كتِفِه .

استمرّ خالدٌ قابضاً على الثُّعبان ، غيرَ مُتأَثِّرٍ بهِ ،

وَفَجْأَةً ظهرَ له شعاعٌ ذهبيٌّ منْ فتحةٍ كبيرةٍ فى سطحِ المغارَةِ ، ورأى على بُعْد سُلَّمًا ذَهَبِيًّا مَصنوعًا من أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وهو سُلَّمٌ متينٌ قويٌّ يُمكِنُ أَن يحتمِلَ خالدًا . صَعِدَ خالدٌ فى السُّلَّم بكلِّ شجاعة خُطْوَةً خُطْوَةً ، حتى تركَ المغارَة ، ووجدَ نفسَهُ فوْقَ حشيشٍ أَخضر ، وهُناكَ حدثتْ ضجَّةٌ شديدَةٌ ، وَأُغْلِقَ البابُ بعدَ أَنْ خرَجَ خالدٌ يحمِلُ الأَميرةَ . وهُنا ذهَبَ الثُّعْبانُ ، وتركَ يدَ خالد ، وسارَ حتى وصلَ إلى الماءِ ، وغطَسَ فِيهِ . نظرَ خالدٌ حوْلَهُ فوجدَ قَزَماً يَنْتَظِرُهُ وَيُصَفِّقُ لهُ بيدِهِ فرَحاً وسرُورًا. وفَتحتِ الأَميرةُ عَيْنيْها ، وشَكَرَتْ لخالد إنقاذَ حَياتها ، وابتَسَمَتْ فَرحاً وسروراً . وحَمِدَ خالدٌ اللهَ حَمْدًا كثيرًا على نجاةِ الأَميرةِ ، وإنقاذِها من مَلِكِ الْغابةِ ، وتحريرها من ذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ . وقالَ القَزَمُ الأَكبرُ يُخاطِبُ الأَميرةَ : يا صاحبةَ السُّمُوِّ : تعالَىْ حتى نجد لكِ بعضَ الملابس التى تُناسبُك ؛ وجرَى القَزَمُ الأَكبرُ إلى الأَمامِ وتَبِعَهُ خالدٌ يحمِلُ الأَميرةَ ؛ لأَنَّها حافيةُ الْقَدَمَين ، ولَيْسَ عِندهَا حِذاءٌ تَلْبَسُهُ .

(١٠)

وأخيرًا وصلَ خالدٌ والأَمِيرةُ إلى بيْتِ الأَقزام ، فوَجدَا أَنَّ الأَقزامَ أَخذُوا يُعِدُّون للأَميرةِ ما تحتاجُ إليهِ مِنْ ملابسَ تُناسِبُها ، وتُنَاسِبُ مركزَها ، مُنذ اليومِ الذى بدأَ فيهِ خالدٌ يبحثُ عنها ؛ فقد كانُوا يَعْلمُون تمامَ العلمِ أَنَّها ستَحْتاجُ إلى مَلابسَ حِينما ترجعُ معَ خالدٍ . وَقدْ قَسَّموا أَنْفُسَهُمْ أَقسامًا . فمنهمْ مَنْ يشتغِلُ فى إعدادِ رداءٍ فِضِّىٍّ أَبيضَ لها ، وَمَنْ يشتغِلُ فى صُنعِ نقابٍ لها ، وَمَنْ يُعِدُّ لها حِذَاءً فِضِّيًّا . فالكُلُّ فى عملٍ ؛ وَكُلُّ فرد يُفكِّرُ فى أَدَاءِ وَاجبِهِ ، وَإنجاز عملِهِ فى الوقتِ المحدَّدِ لهُ .

أَحْضرَ كبيرُ الأَقزَام للأَمِيرةِ الفُوَطَ التى تحتاجُ إليها ، والمعطَفَ والملابسَ التى أَعدُّوها لها . وَذَهبتْ لِتَسْتَحِمَّ فى بحر الأَقزامِ ، وَتُنَظِّفَ جسمَها مِنْ قذارةِ المغارَةِ الموحِشةِ ، وَالبلادِ المظلِمَةِ .

وَمكثَ خالدٌ بعيدًا معَ الأَقزام حتى تَسْتَحِمَّ وتلبسَ

ملابسها الجديدةَ . وبعدَ أَنْ انتهتْ منَ الاستحمامِ وَاللُّبْس حضرتْ ، فاسْتقبلها خالدٌ بكلِّ احترام وَإجلال ، وَاعتقدَ أَنَّه لَمْ يرَ مِنْ قَبلُ جمالًا يُشْبِهُ هذا الجمالَ .

شَكَرَت الأَميرةُ للقزَمِ الأَكبرِ وَإخوانِه ما قَدَّموهُ لها منْ ملابِسَ ، وَما أَظهَرُوهُ نَحْوَها منْ عطف وَمروءة وَمعُونة . أَخذتِ الأَميرةُ تمْزَحُ وتقولُ لخالد : إنَّ القَزَمَ الأَكبرَ سيتَزوَّجُنى .

فَصاحَ خالدٌ : أَيتها الأَميرةُ العزيزَةُ إنَّكِ لا تُريدينَ أَنْ تتزوَّجى ضابطاً فقيرًا مِثْلِى .

فقالتِ الأَميرةُ : وَمنْ أَنا بالنِّسْبةِ إليك يا خالدُ ؟ لقدْ قُمتَ بما لَمْ يقُمْ بهِ أَحدٌ ،وفعلتَ ما لَمْ يَسْتطعْ غيْرُكَ أَنْ يفْعَلهُ . لقدْ عجزَ أَبى وَهو السُّلطانُ وَعندهُ حَرسُهُ وَجيشُهُ وَأَعوانُهُ عنْ إنقاذى وَتحريرى ، ولمْ يتمكَّنْ مِنْ معرفةِ مكانى . أَمَّا أَنتَ فقدْ خاطرْتَ بحياتِكَ فى سبيلى ، وَأَنقذْتَنى منْ ذُلِّ العُبودِيَّةِ ، وأَعْطَيْتَنى الحرِّيةَ ، وأَعدتَنى إلى الحياةِ الحرَّةِ الجميلَةِ فأَنا مَدِينَةٌ لكَ بالحرِّيَّةِ التى أَتمتَّعُ بها الآنَ ، وَالحياةِ

الّتي أَحْياها فحُرِّيَّتي تُنْسَبُ إليْكَ ، وَحَياتى تُنْسَبُ إليْكَ . وَيُشرِّفُنى أَنْ أَكونَ زوْجةً لرجُلٍ شُجاعٍ كثير الإقدام . كثيرِ الوفاءِ وَالإخْلاص مِثْلكَ . وَلايُمْكِنُنى أَنْ أَنْسَى أَنّى كنْتُ جارِيةً مُسْتَعْبَدَةً ، فقِيرَةً حافيةَ القدمَيْن ، تكنُسُ بالمِكْنَسَةِ ، وتُنَظِّفُ الحُجَراتِ ، وَتُلاحِظُ الدَّجاجَ وَالإوَزَّ وَالحيوَانَات ، فأَنقذْتنى منْ حَياةِ الذُّلِّ والعُبودِيَّة . وَخاطَرْتَ بنَفْسِك وحياتِكَ من أَجْل حياتى . وأَرْجُو أن تَسْمحَ لى أَنْ آمُرَكَ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ وَهو الأَخيرُ منْ أَوامرى : هُو أَنْ تَرضَى بى زَوْجةً لكَ . وَفى المسْتقْبل ستكونُ — أَيُّها القائدُ العظيمُ — أَنْت الآمرَ النَّاهىَ للأَمِيرةِ ؛ وَسأَكونُ أَنَا المُطِيعةَ المُنفِّذَةَ لِمَا تأْمُرُ بهِ ، وَما تنْهَى عنْهُ ، بالقَول أَو الإِشَارَةِ .

لَمْ يكدْ خالدٌ يُصَدِّقُ ما سَمِعهُ منَ الأَمِيرَةِ ، وَقامَ وَقَبَّلَ يَدَهَا ؛ وشكَرَ للهِ ما أَنْعَمَ بهِ عَليْهِ ، وَشكَرَ لَها شُعورَها النَّبيلَ ، وَإِحْساسَها الرَّقيقَ ، واسْتأْذَنها فى أَنْ تَسْمَحَ لهُ أَنْ يُنادِيَهَا باسْمها «حَسْناءَ» . .

أَظْهَرَ الأَقزامُ جَمِيعُهم فَرحَهمْ وَسرُورَهُمْ ، بقَبول

الأَميرَةِ تَزَوُّجَ خالدٍ ، وَأَخذَ بعضهُمْ يُغَنِّى ، وَبعْضُهُمْ يلْعَبُ أَلْعابَ المَرَحِ والسُّرُور . وَأَحْضَرَ الْقَزَمُ الأَكْبَرُ خاتَمَيْن نفِيسَيْن وَضَعَ أَحدَهُما فى إِصْبَعِ الْيَدِ الْيُسرى للأَمِيرَة ، وَوَضَعَ الآخرَ فى يَدِ خالِد ، وَوَضَعَ يَدَها فى يَدِهِ ثمَّ قالَ : عَلَى حَسَبِ قانون الأَقْزام أَنْتُما الآنَ زَوْجان . وَأَخَذَ الأَقزامُ يُصَفِّقونَ ويُظهرون شعورَهم ، وَفرحَهمْ وَسُرورَهُمْ بالموسيقى وَالْغِناءِ . وَفى الوقتِ الذى فرح فيه الأَقزامُ باجتماعِ الأَميرةِ مَعَ خالِد وقبولِهما الزوَاجَ كان ملكُ الْغابةِ فى شِدَّةِ الْغيظِ والْحُزْن وَ الأَلَمِ لِهَرَب الأَميرةِ ، وَالقضاءِ على مُؤامرتهِ ، ومُؤامرةِ أَتْباعِه الْوزراءِ والمستشارين .

وَدَّعتِ الأَميرةُ وَخالدٌ الأَقزامَ ، وشكرَا لهمْ احتفاءَهُم بهما . وإِكرامَهمْ ومساعدتَهم لهما ، وَرجعت الأَميرةُ مَعَ قائدِ الحرس السُّلطانى (خالد) إلى الْقصر وَيدُهُ فى يدِها.

واستقبلهُما السُّلطانُ والسُّلطانةبالْفرَح والسُّرُور ، وَالْبِشْر والحُبور (السرور) . وَاحْتفلا بعوْدتِهما احتفاءً يليقُ بهما ، وبارَكَ السلطانُ والسلطانة زواجَهُما ،

وأُقيمتْ لهما الأَفراحُ ، والليالى المِلاحُ ، وَكثرَتِ الاحتِفالاتُ وَالحفلاتُ ، وَعَمَّ السرُورُ جميعَ أَفرادِ الشعبِ . وَقد تَمَّ ما كان يُحِسُّ به خالدٌ دائماً .

وتَحقَّقَ حُلمُه بتَزَوُّجِ الأَميرةِ بنتِ السلطان، كما تَحقَّقَ حُلمُ الأَميرةِ بتزَوجِ شابٍّ فقيرٍ يستطيعُ الْقيامَ بكثيرٍ من الْعجائبِ والْغرائبِ .

أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى رآه خالد حينما تبع القزمَ خارج المنزل ؟

(٢) كيف كانت المقابلة الأولى بين الأميرة وخالد ؟

(٣) ما الذى تعرفه عن اللعبة الموسيقية التى أهداها القزم إلى خالد ؟

(٤) ماذا فعل خالد حينما رفضت الأميرة السماح له بالذهاب إلى الحرب ؟

(٥) ماذا حدث للأميرة ؟ وكيف خطفت ؟ وكيف عرف خالد مكانها ؟

(٦) بأى وسيلة حاول ملك الغابة أن يقتل خالداً ؟

(٧) كيف قضى خالد على تأثر الأميرة بالسحر ؟

(٨) ما الدروس التى تعلمتها الأميرة فى الغابة وبلاد ملك الغابة ؟

(٩) كيف أعد الأقزام الملابس لحفلة الزفاف ؟

(١٠) كيف كان شعور السلطان والسلطانة حينما عادت الأميرة وخالد ؟

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٨٢٠
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٧٨ – ٦

١/٧٨/٢٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

المكتبة الحديثة للأطفال

المجموعة الأولى

لتلاميذ من سن ٨ سنوات فأكثر

(١) يوم سعيد
(٢) الطفلان اليتيمان
(٣) الراعى الأمين
(٤) النمر الأسود
(٥) جميلة والوحش
(٦) زوجة الأب
(٧) الأميرة الصامتة
(٨) السمكة الذهبية
(٩) الدجاجة الخائفة
(١٠) العصفور المغرور
(١١) القرش الضائع
(١٢) الصندوق الزجاجى
(١٣) الأميرة الحسناء (سنوهويت)
(١٤) راعية الإوز
(١٥) الأبناء الثلاثة
(١٦) البنت النبيلة
(١٧) لعبة الأميرة
(١٨) القصر الذهبى
(١٩) المصباح الأزرق
(٢٠) الابن النبيل
(٢١) الحمامة النبيلة
(٢٢) شهربان الصغيرة
(٢٣) البنت الوحيدة
(٢٤) الصديقات الثلاث
(٢٥) القلم الذهبى الجديد
(٢٦) الثعلب الحزين
(٢٧) الحزام السحرى
(٢٨) حورية البحر
(٢٩) الكلب الوفى
(٣٠) نسيان الجميل

المجموعة الثانية

لتلاميذ من سن ١٠ سنوات فأكثر

(١) بنت قاطع الخشب
(٢) سيف العدالة
(٣) الحظ السعيد
(٤) مثال الرحمة
(٥) الشاب الوفى
(٦) الأبناء جواهر الأم
(٧) الأميرة المدبرة
(٨) حارسة الورد
(٩) البطل الشجاع
(١٠) الأمير شفيق
(١١) الفيلسوف الزاهد
(١٢) الوطنية الصادقة
(١٣) زهرة السنط
(١٤) الجندى المجهول
(١٥) حلم يتحقق
(١٦) الفارس النبيل
(١٧) تحرير الوطن
(١٨) الأمير حسن
(١٩) الموسيقيون الثلاثة
(٢٠) تأديب الأميرة
(٢١) الشاب الشجاع
(٢٢) الأخ الأصغر
(٢٣) النظام سبب النجاح
(٢٤) الضعيف يغلب القوى
(٢٥) الصبر سبيل النجاح
(٢٦) الاتحاد قوة
(٢٧) الدب الخائن
(٢٨) الصياد المسكين
(٢٩) الكنز المفقود
(٣٠) الفقير النبيل

٢٠٤١٢٩/٥